سلسلة تصدر عن مجلة البيان



معلم في تربية النفس

«من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه»

تأليف
عبد اللطيف بن محمد الحسن

مَعْلَم في تربية النفس

وقفات مع حديث

«من حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه»

عبد اللطيف بن محمد الحسن

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحسن ، عبداللطيف بن محمد

معلم في تربية النفس .- الرياض

... ص ، .. سم

ردمك : ٨- ٣٢٨-٣٨-٩٩٦٠

١ -التربية الإسلامية ٢ - الحديث - مباحث عامة أ -العنوان

ديوي ١, ٣٧٧ ٢٥٩٤ / ٢١

رقم الإيداع :٢٥٩٤ /٢١

ردمك : ٨-٣٢٨-٣٨-٩٩٦٠

بين يدي الكتاب

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، يتلو عليهم آيات ربهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم... **وبعد:**

فأبلغ التربية ما كان مرتبطاً بهدايات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المتضمنة تحليلات دقيقة لدخائل النفوس وخفاياها، وعلاجات ناجعة لأدوائها وأمراضها.

وقد كانت الجهود التربوية - ولا تزال - بحاجة إلى مزيد من الربط بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة؛ تحقيقاً لقدر أكبر من التأصيل والمرجعية، وسعياً إلى التركيز على الأهم من الواجبات التربوية، وإعطاء كل أمر مقداره الشرعي، والاهتمام به على قدر اهتمام النصوص به.

أضف إلى ذلك الثمرات الناتجة من تأمل النصوص، والحاصلة من بركة العيش في ظلالها، وهو أمر حُرِمَهُ كثير من المشتغلين بالنظريات الوافدة والآراء البشرية المعرَّضة للنقص والخطل.

على أن دراسة الموضوعات من خلال نص واحد يحيج الكاتب إلى استكمال جوانب الموضوع الواردة في النصوص الأخرى مما لا يدخل في مدلول

النص – موضع الدراسة –، ولكنه على كل حال سيبقى في فلك النصوص يدور فيه.

ومن هذا الباب يتقدم المنتدى الإسلامي لقرائه الكرام بهذه الدراسة التي تعكس أهمية هذا النوع من الدراسات، وضرورة الاهتمام به من قِبَل أصحاب التخصصات الشرعية.. سائلين الله – تعالى – أن يعم بها النفع، وأن يبارك فيها، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على عبده ونبيه محمد وآله وصحبه.

المنتدى الإسلامي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن في سنة النبي ﷺ أنواراً هادية إلى الصراط المستقيم، وأضواءاً كاشفة عن سبل العوج والانحراف والنقص والزلل.

وفي كلمة من مشكاة النبوة يرسم النبي ﷺ مَعْلَماً من معالم النجاة، بل يحدد أمارة للفلاح والسداد يقيس بها المرء نفسه، ويعرف بها مقدار قربه أو بعده عن الجادة، فيقول – عليه الصلاة والسلام –: «مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ»[1].

هذا الحديث قاعدة عظيمة فيما يأتي الإنسان وما يذر، وقد نبه إلى الركن الأول في تزكية النفس وتربيتها، وهو جانب التخلية بترك ما لا يعني، ويلزم منه الركن الثاني وهو التحلية بالاشتغال بما يعني.

تزداد الحاجة لفهم مثل هذا الحديث والعمل بمقتضاه في زمن تزاحمت فيه الواجبات، وتنازعت فيه الأولويات، وصعبت الموازنة.. وهذا حال جميع الناس؛ لأن الواجبات أكثر من الأوقات، فكانت الخطوة الأولى هي: تركيز الاهتمام فيما ينفع، وترك كل ما لا يعني، وهي أولوية تربوية ملحة في تربية الإنسان لنفسه

(١) هذا الحديث حسن عند بعض أهل العلم، صحيح عند آخرين، وسيأتي تخريجه مفصّلاً بعد بضع صفحات.

وللآخرين.

وهذه وقفات مع هذا الحديث ومعناه وفقهه وآفاق تطبيقه .. تصلح لأن تكون معالم في طريق تربية النفس وتزكيتها، ومنهجاً متبعاً في العلم والعمل.

جاء هذا الكتاب أشبه بدراسة موضوعية تربوية لموضوع: (ما لا يعني)، من حيث: معناه، وضابطه، ومداخله، وأمثلته، وأسباب الاشتغال به، وآثار ذلك، ثم بعض السبل المعينة على التوجه لما يعني والتوجيه إليه.

إن معايشة مثل هذا الموضوع لتشعر الكاتب والقارئ الكريم بالأهمية التي يبلغها هذا الموضوع والمكانة التي يتبوؤها، وتوقفه على سرٍّ من أسرار نجاح الأمة! إنه اشتغالها بما يعنيها من أمر دينها ودنياها، وتوجُّهها نحو غايتها، وقيامها برسالتها؛ فعلماؤها يوجهون إلى ما يعني علماً وعملاً، ويحذرون مما لا يعني، وعامتها يستجيبون ويلتزمون .. فليت شِعري: هل ينفعنا إدراك هذا السرِّ؟!

وإذا كان مما لا يخفى على أهل العلم وذوي الخبرة الدعوية والتربوية منزلة (فقه مراتب الأعمال) وضرورة مراعاة ترتيب الأولويات .. فإن الحقيقة أن حصر اهتمام الإنسان فيما يعنيه يعد مرحلة سابقة لترتيب الأعمال التي تعنيه لتقديم أَوْلاها بالعمل؛ وذلك يعكس مدى احتياجنا لمعرفة ضابط ما يعنينا مما لا يعنينا، قبل احتياجنا لفقه مراتب الأعمال، مع الأهمية في كلٍّ منهما.

أرجو أن يعم نفع هذا الكتاب فئات عديدة من الشباب والفتيات، والرجال والنساء، والدعاة والمربين، والكتَّاب والباحثين، وأيضا: من يكثر الشكوى من تزايد الأعباء والأشغال، ومن يتذرع بقلة الأوقات عن كثير من الواجبات، ومن

يتخذ من أشغاله الخاصة سلَّماً للتهرب من المسؤولية تجاه دينه والدعوة إليه.. ولهؤلاء ونحوهم يقال: «مِنْ حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، فإذا تركتم ما لا يعنيكم توفر لديكم كثير من الوقت والجهد والمال!

ولذا يمكن القول: إن الناس لو عملوا بهذا الحديث النبوي العظيم لأحدث لهم ذلك نقلة نوعية كبيرة في العمل والإنتاج.

وإن تعجب فانظر موقف أهل العلم من هذا الحديث في المبحث التالي.

أحسب أن هذه الوقفات ليست غاية البحث ولا نهاية المطاف في ظلال هذا الحديث العظيم؛ فالسُنَّة النبوية مَعِين لا يَنْضُب ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]. وحسب هذه الورقات إثارة الموضوع، والدعوة إلى إثرائه بكل وسيلة ممكنة[1]. إن الله يحب المحسنين، وهو - سبحانه - يجزي المتصدقين.

* * *

(١) للنقد البنّاء وإثراء الموضوع تتم المراسلة إلى عنوان مجلة البيان في السعودية:

ص. ب: ٢٦٩٧٠ - الرياض: ١١٤٩٦ - هاتف ٤٦٤١٢٢٢ - فاكس ٤٦٤١٤٤٦

البريد الإلكتروني: bayan @ naseej. com. sa

حديث جامع

هذا الحديث[١] مشتمل على معانٍ عظيمة لا غنى للمسلم عن فهمها

---

(١) حديث: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» أخرجه عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، من طريق الأوزاعي عن قرة بن عبد الرحمن بن حيوئيل عن الزهري عن أبي سلمة عنه: الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وابن حبان كما في الإحسان (٢٢٩)، والبغوي في شرح السنة (٤١٣٢)، وقال الترمذي عقبه: «هذا الحديث غريب، لا نعرفه من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه». ومن طرق أخرى عنه: الخطيب في تاريخه، ٤ / ٣٠٩، و٥ / ١٧٢ و ١٢ / ٦٤.

وله شاهد من حديث الحسين بن علي - رضي الله عنه - عند: أحمد ١ / ٢٠١، والطبراني في الكبير (٢٨٨٦)، وفي الأوسط (٨٣٩٧)، وفي الصغير ٢ / ٤٣.

ومن حديث علي بن الحسين مرسلاً عند: مالك ٢ / ٩٠٣، وعبد الرزاق (٢٠٦١٧)، والترمذي (٢٣١٨)، والبغوي (٤١٣٣).

قال ابن رجب: (جامع العلوم والحكم ١ / ٢٨٧، ٢٨٨): «وممن قال إنه لا يصح إلا عن علي ابن حسين مرسلاً: الإمام أحمد، ويحيى بن معين، والبخاري، والدارقطني»، ومعلوم أن الحديث المرسل من أنواع الضعيف بسبب الانقطاع بين التابعي وبين النبي ﷺ.

وقال الدارقطني في علله (٨ / ٢٦) بعد أن ساق بعض طرقه: «والمحفوظ حديث أبي هريرة، وحديث علي بن الحسين مرسلاً»، ثم ذكر رواية سهيل عن أبيه عن أبي هريرة، وقال: «ولا يصح عن سهيل، والصحيح حديث الزهري عن علي بن الحسين مرسلاً».

ورواه الخطيب من حديث مالك عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وقال: «الصحيح عن مالك عن الزهري عن علي بن الحسين مرسلاً» (تاريخ بغداد ٤ / ٦٤).

لكن النووي في الأربعين حسَّن حديث أبي هريرة المرفوع؛ لأن رجال إسناده ثقات (انظر تحفة الأحوذي ٦ / ٦٠٧، جامع العلوم والحكم ١ / ٢٨٧)، وقرة بن عبد الرحمن: وثقه =

وامتثالها، وهو من جوامع كلمه ﷺ .

وقد أفصح أهل العلم عن أهمية هذا الحديث ومنزلته نظرياً وعملياً .

فأما نظرياً :

فقد تعددت عبارات الأئمة في بيان منزلته من الدين .

فقال الدارقطني : « أصول الأحاديث أربعة : (الأعمال بالنيات)، و (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، و (الحلال بين)، و (ازهد في الدنيا يحبك الله) »[١] . وعن الشافعي أنه صاغها في بيتين فقال :

« وعمدة الخير عندنا كلماتٌ أربعٌ قالهن خيرُ البرية

اتَّقِ الشبهاتِ وازهدْ ودعْ ما ليس يعنيكَ واعْمَلَنْ بنِيَّة »[٢]

= قوم وضعفه آخرون، قال ابن عدي (الكامل ٦ / ٢٠٧٧) : « لم أرَ في حديثه حديثاً منكراً فأذكره، فأرجو أنه لا بأس به »، وقال ابن حجر (التقريب ص١٠٨) : « صدوق له مناكير » .

وقال بثبوت الحديث ابن عبد البر (التمهيد ٩ / ١٩٨)، وقال : « ولا يصح فيه عن الزهري إلا إسنادان، أحدهما : ما رواه مالك ومن تابعه، وهم أكثر أصحاب الزهري عن علي بن الحسين مرسلاً، والآخر : ما رواه الأوزاعي عن قرة بن حيوئيل عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مسنداً، والمرسل عن علي بن الحسين أشهر وأكثر . وما عدا هذين الإسنادين فخطأ لا يعرج عليه » .

والحديث حسنه أيضاً – غير النووي وابن عبد البر – الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٨٨٧)، وشعيب الأرناؤوط ومشاركه (جامع العلوم والحكم ١ / ٢٨٧ هامش : ١)، ورمز له السيوطي بالصحة (الجامع الصغير، ٨٢٤٣)، وذهب إلى أنه صحيح بشواهده : شعيب الأرناؤوط ومشاركوه (شرح السنة ١٤ / ٣٢٠ هامش : ١)، (شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١ / ٣٤٢ هامش : ٣) .

(١) الأشباه والنظائر، للسيوطي، ص٩ .

(٢) الكاشف عن حقائق السنن، للطيبي، ١٠ / ٣١٢٥ .

وقال ابن أبي زيد المالكي: «جماع آداب الخير تتفرع من أربعة أحاديث: حديث: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، وحديث: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)، وحديث: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، وقوله للذي اختصر له الوصية: (لا تغضب)»[١].

وعدّه حمزة الكناني ثلث الإسلام[٢].

وذكر ابن القيم أن النبي ﷺ جمع الورع كله في هذا الحديث[٣].

وقال ابن رجب عنه: «أصل عظيم من أصول الأدب»[٤].

وذكر أبو داود أنه يكفي الإنسان لدينه أربعة أحاديث، وذكره منها[٥].

وأما عملياً:

فإنك تجد أن أهل العلم قد جعلوا هذا الحديث أصلاً مرجعياً يُعرف به ما يسوغ وما لا يسوغ من الأقوال والأعمال .. وعمموا مدلوله في سائر المجالات العلمية والعملية ..

يرى ذلك جلياً مَنْ طالع كلامهم ونظر في كتبهم . ولقد فاق توقعي جداً ما

---

(١) الديباج على صحيح مسلم، للسيوطي (مخطوط، ورقة ٢٩).

(٢) انظر: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، للزرقاني، ٣/ ٩٦.

(٣) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٢/ ٢٣.

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب، ١/ ٢٨٨.

(٥) انظر: تاريخ بغداد ٩/ ٥٧، قال الذهبي (السير: ١٣/ ٢١٠): «قوله: يكفي الإنسان لدينه: ممنوع، بل يحتاج المسلم إلى عدد كثير من السنن الصحيحة مع القرآن».

رأيت في العديد من المصادر والمراجع من إشارة إلى الحديث[1] أو كلام على معانيه.. ولو ذهبت أتتبع أطراف الموضوع وأورد كل ماوقفت عليه .. إذن لطال بي المقام، وثقل على القارئ الكتاب، ولعل ماذكر يكون كافياً في تحقيق المقصود.

* * *

---

(١) هناك أمثلة علل فيها الفقهاء الحكم بكون الشيء يعني أو لا يعني، وللمثال ينظر: كشف الأسرار، لعبد العزيز البخاري ١ / ٢٥٥، الطرق الحكمية، لابن القيم ص ١٧، مطالب أولي النهى، للرحيباني ٢ / ١٦٣، فتح العلي المالك، لعليش ١ / ١٦٩.
وينظر في أمثلة ذكرهم له في الآداب: كشف الأسرار ٣ / ٤٩، المدخل لابن الحاج ٤ / ٢٤٦، الفروع، لابن مفلح ٣ / ١٩٣، تبصرة الحكام، لابن فرحون ١ / ٤٥٣، الفتاوى الهندية ٥ / ٢٥٠، الإنصاف للمرداوي ٣ / ٥٠٧.

حسن الإسلام.. معناه وفضائله

يراد بحسن الإسلام عموماً أحد معنيين:

الأول: صحة الإسلام، فيكون ضده: بطلانه بالكفر أو الشرك أو النفاق[١]. وعلى هذا المعنى تحمل بعض الأحاديث[٢].

الثاني: كمال الالتزام بالإسلام، والترقي في مراتب الدين نحو بلوغ مرتبة الإحسان[٣]. وهذا متضمن للمعنى الأول؛ إذ لا يحسن إسلام المرء حتى يصحّ

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/١٧٩، ١٩٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/٣٨٧ (مادة حسن).

(٢) منها: حديث ابن مسعود قال: قال ناس لرسول الله: أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها. ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام» (أخرجه مسلم ١٢٠، والبخاري ٦٩٢١)، ونحوه حديث: «إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله كل حسنة كان أزلفها، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها، ثم كان بعد ذلك القصاص، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله» (أخرجه النسائي ٨/١٠٥ - ١٠٦، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ح٤٦٢٥). وانظر الهامش الآتي والذي بعده.

(٣) انظر: تحفة الأحوذي ٦/٦٠٧، والنهاية لابن الأثير ١/٣٨٧ (مادة حسن)، والكاشف عن حقائق السنن للطيبي ١٠/٣١٢٤، ٣١٢٥.

وقولهم: (فلان حسن إسلامه): يظهر - والله أعلم - أنها بالمعنى الثاني؛ إذ هو أمر ظاهر من أعمال المرء، بخلاف الأول؛ فهو في القلب، ويصعب الحكم عليه. وهكذا فإن من ذكر هذه العبارة من أهل العلم قرنها - أحياناً - بذكر بعض فضائل الرجل الموصوف بها وأحواله الحسنة. كما أن وصف أمثال أبي سفيان بن الحارث، والنجاشي، وعمير بن وهب، وعكرمة، =

ويثبت أولاً .

وهو المراد في هذا الحديث – موضع الدراسة ـ؛ فإن أخذ الإنسان بما لا يعنيه لا ينقض أصل إسلامه، بل يؤثر في كمال إيمانه، وينقص حسن إسلامه، ويمنعه من الوصول إلى مرتبة الإحسان[١] .

والمحسن – بهذا المعنى – له فضل ومزية على غيره، ويناله من الفضل أمور، منها :

= ومعاوية – رضي الله عنهم – بها يشعر بذلك .

(راجع: السير ١/٢٠٣، ٤٢٨، الطبقات الكبرى ٤/٢٠٠، شذرات الذهب ١/٢٨، تاريخ الخلفاء ص ١٩٤).

مع أن العبارة قد تحتمل أحياناً المعنى الأول بحسب السياق، وبحسب حال الموصوف بها .

(راجع: الإصابة ١/١٠١، ٥/٧٢١، تاريخ الطبري ٢/٣٩٠).

(١) وذكر ابن رجب – رحمه الله – أن المراد بحسن الإسلام: إكمال واجباته واجتناب محرماته. فتكون الإساءة: ارتكاب بعض المحظورات التي كانت ترتكب في الجاهلية؛ محتجاً بحديث ابن مسعود: «أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها، ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام» (انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب ١/ ١٤١ – ١٤٩). وهذا القول يحتمله لفظ الحديث. والمسالة محل بحث ونظر. على أن كثيراً من أهل العلم يرى أن المراد بالإحسان في حديث ابن مسعود: صحة الإسلام، وأن الإساءة: الكفر، فمن كفر أُخِذ بكفره ومعاصيه التي في الجاهلية والإسلام، أما المسلم فلا يؤاخذ بما عمل في الجاهلية؛ لإجماع الأمة على أن الإسلام يجبُّ ما قبله. وذكر ابن بطال أنه عرض هذا المعنى على بعض العلماء فأجازوه، وقالوا: «لا معنى لحديث ابن مسعود غير هذا».

(انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال ٨/ ٥٧٠، أعلام الحديث، للخطابي ٤/ ٢٣١١، المفهم للقرطبي ١/ ٣٢٧، فتح الباري ١٢/ ٢٧٨).

● محبة الله – عز وجل – فإن الله – تعالى – قال: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وهذا المعنى داخل في هذه الآية، ومن أحبه الله كان معه في كل أموره يوفقه ويسدده.

● زيادة مضاعَفة الحسنات، كما في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «إذا أحسن أحدُكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله»(١).

قال ابن رجب: «فالمضاعَفة للحسنة بعشر أمثالها لا بد منه، والزيادة على ذلك تكون بحسب إحسان العمل، وإخلاص النية، والحاجة إلى العمل وفضله، كالنفقة في الجهاد، وفي الحج، وفي الأقارب، وفي اليتامى، والمساكين، وأوقات الحاجة إلى النفقة»(٢).

● تبديل السيئات حسنات. ويشهد لذلك قوله – تعالى –: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧٠].

وظاهر الآية شامل لتبديل المعاصي بطاعات مكانها يوفقهم الله لها، وشامل

---

(١) رواه مسلم، ح ١٢٩.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٢٩٥.

أيضاً لتبديل السيئات نفسها التي عملوها بحسنات يجزون بها[١] .

قال ابن رجب : « إنما التبديل في حق من ندم على سيئاته ، وجعلها نصب عينيه ، فكلما ذكرها ازداد خوفاً ووجلاً وحياءاً من الله ، ومسارعة إلى الأعمال الصالحة المكفِّرة ، كما قال – تعالى –: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا﴾ . . . ومن كانت هذه حاله ، فإنه يتجرع من مرارة الندم والأسف على ذنوبه أضعاف ما ذاق من حلاوتها عند فعلها ، ويصير كل ذنب من ذنوبه سبباً لأعمال صالحة ماحية له »[٢] .

وهذا هو حال الموفقين المهتدين الصادقين في توبتهم ، فانظر إلى عمر الفاروق – رضي الله عنه – لما راجع النبي ﷺ في صلح الحديبية مستنكراً بعض ما كان فيه من شروط ، ورأى أنه قد أساء باعتراضه وإلحاحه ، قال : « فعملت لذلك أعمالاً »[٣] ، أي : أعمالاً صالحة أكفِّرُ بها ما فعلت . ومن كانت هذه حاله فإنه كلما كان أكثر إساءة في الجاهلية – وكان صادق التوبة – كان أكثر إحساناً في الإسلام .

● وبشرى للمحسنين في قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس : ٢٦] .

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ، ص٥٣٥ .

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ، ١ / ٣٠٠ .

(٣) ذكره البخاري مرسلاً ، كتاب الشروط ، باب ١٥ ، وانظر المسند ٤ / ٣٣١ ، وفتح الباري ٥ / ٤٠٨ ، وعمدة القاري للعيني ١٣ / ١٤ .

والحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله - تعالى -. والمحسنون هم السابقون المقربون في الجنات: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠ - ١٢].

* * *

دعوة لتحسين إسلام المرء

في معرفة الفضائل السابقة حافز للسعي نحو مرتبة الإحسان.

وفي هذا الحديث بيانُ أنَّ تركَ ما لا يعني من أسباب حسن الإسلام.

«والإسلام - عند الإطلاق - يدخل فيه الإيمان والإحسان، وهو شرائع الدين الظاهرة والباطنة.

والمسلمون منقسمون في الإسلام إلى قسمين، كما دل عليه فحوى هذا الحديث؛ فمنهم المحسن في إسلامه، ومنهم المسيء»[1]. فالمحسن من انشغل بما يعنيه من أمور الإسلام الظاهرة والباطنة، قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: ١٢٥]، والمسيء من لم يترك ما لا يعنيه، كما هو مفهوم الحديث[2].

وعليه فإن مفهوم حسن الإسلام مرتبط بمبدأ زيادة الإيمان بالعمل الصالح. وهو متولد من مراقبة الله - عز وجل -، «فمن عبد الله على استحضار قربه ومشاهدته بقلبه؛ أو على استحضار قرب الله منه واطّلاعه عليه، فقد حسن

---

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار شرح جوامع الأخبار، للشيخ السعدي، ص١٧٤ - ١٧٥.

(٢) انظر: المصدر السابق.

إسلامه، ولزم من ذلك أن يترك ما لا يعنيه في الإسلام ويشتغل بما يعنيه فيه؛ فإنه يتولد من هذين المقامين الاستحياء من الله، وترك كل ما يستحيا منه»(١) . قال ابن الكاتب: «إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه»(٢) .

«وهذا الحديث يدل على أن ترك ما لا يعني المرء من حسن إسلامه، فإذا ترك ما لا يعنيه وفعل ما يعنيه كله، فقد كمل حسن إسلامه»(٣)، فالحديث قاعدة جامعة في معرفة الأمور التي يحسن بها الإسلام، والأمور التي يكون بها العبد مسيئاً؛ لانشغاله بما لا يعنيه عما يعنيه، كما أنه معيار جلي يعرف به حسن الإسلام من ضده.

ترك ما لا يعني صفة الجادّين المحسنين:

وصف الله – تبارك وتعالى – المؤمنين بالإعراض عن اللغو في غير ما آية، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١ – ٣]، وقال عنهم: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

واللغو: الباطل، وهو يشمل الشرك، والمعاصي، وكل ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال(٤)، والاهتمامات

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/٢٨٩، وانظر: بريقة محمودية، للخادمي ٢/١٣١.
وراجع: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ١/ ٦٩ – ٧٣.

(٢) حلية الأولياء، ١٠/ ٣٦٠.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم، ص٢٩٥.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/٣٠٠.

والشعور[١]، فيدخل فيه الاشتغال بما لا يعني[٢].

«والإعراض عن جنس اللغو من خلق الجد. ومن تخلق بالجد في شؤونه كملت نفسه، ولم يصدر منه إلا الأعمال النافعة؛ فالجد في الأمور من خلق الإسلام، كما أفصح عن ذلك قول أبي خراش الهذلي بذكر الإسلام:

وعادَ الفتىٰ كالكهلِ ليسَ بقائلٍ

سوىٰ العدلِ قولاً، فاستراحَ العواذِلُ

والإعراض عنه يقتضي بالأوْلى اجتناب قول اللغو، ويقتضي تجنب مجالس أهله»[٣].

والمعرضون عن اللغو معرضون عن العبث واللهو والفضول والتكلُّف والتنطع، وكلها يدخل في معانيها: الانشغال بما لا يعني[٤].

* * *

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٤/٢٤٥٤.

(٢) انظر: شعب الإيمان، للبيهقي، ٧/٤١٥.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٨/١١.

(٤) راجع: لسان العرب، مادة: (عبث)، (كلف)، والمفردات للراغب الأصفهاني: مادة (عبث)، (لهى). وانظر: المغرب للمطرزي، والمصباح المنير للفيومي، مادة: (فضل)، والنهاية لابن الأثير، مادة (نطع).

أي شيء هو الذي لا يعنيك؟

قول الحبيب ﷺ في هذا الحديث: «ما لا يعنيه» أي: ما لا يهمه[١]، ولا يفيده في دينه ودنياه. والشيء الذي يعني المرء هو: ما «تتعلق عنايته به، ويكون من مقصده ومطلوبه، والعناية: شدة الاهتمام بالشيء، يقال: عناه يعنيه إذا اهتم به وطلبه»[٢].

والفعل أصله من (عنى) الدال على «القصد للشيء بانكماش فيه، وحرص عليه»[٣].

«وعناه الأمر يعنيه عناية وعُنِيّاً: أهمَّه. وقوله: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]، وقرئ: يَعنيه[٤]، فمن قرأ يعنيه بالعين المهملة، فمعناه: له شأن لا يهمه معه غيره، وكذلك: ﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، أي لا يقدر مع الاهتمام به على الاهتمام بغيره»[٥].

والمرء ينبغي له أن يهتم أصلاً بما به نجاته وخلاصه وسعادته، وذلك منحصر فيما يجلب له مصالح آخرته، ويدفع عنه مفاسدها، وأيضاً فيما يجلب له

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/٣١٤.

(٢) جامع العلوم والحكم، ١/٢٨٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤/١٤٦.

(٤) وهي قراءة شاذة، لابن محيصن. انظر: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، للبنّا، ٢/٥٨٩.

(٥) لسان العرب، ٤/٣١٤٦.

مصالح دنياه، ويدفع عنه مضارها؛ لأن له في صلاح دنياه وسيلة لصلاح آخرته.

وهذا ما دعا النبي ﷺ إلى الحرص عليه بقوله: «احرص على ما ينفعك»[١]، وهو توجيه الله ـ عز وجل ـ لنا في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. أي: الزموها وأصلحوها[٢].

وما سوى ذلك فإنه لا يعنيه ولا يهمه، وذلك شامل لجميع أنشطة الإنسان وأعماله، من الأقوال والأفعال التي لا تحقق له مصلحة ولا تدفع عنه مفسدة، كما هو شامل للمحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها[٣]، وكلها مما يحاول الشيطان إيقاع العبد فيه، متدرجاً من الأشد إلى الأخف.

وما لا يعني جزءان[٤]:

الجزء الأول: أمور لا تعني الإنسان ولا تهمه في أصلها، كشؤون الآخرين وخصوصياتهم في كيفيات معايشهم ووجهات ذهابهم وإيابهم ومقدار تحصيلهم من الدنيا، وتفاصيل أحوالهم في أنفسهم وأولادهم ومشكلاتهم، وكذا الانشغال بالقصص والوقائع والمشاهدات التي لا تتعلق بقصد صحيح.

وقد ورد النهي عن مثل هذا فيما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن

---

(١) أخرجه مسلم، ح٢٦٦٤.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٦/٣٢٣، وفتاوى ابن تيمية ١٤/٤٨٢.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم، ١/٢٨٩، وسيأتي بحث أوسع لهذه المسألة ص ٣٣.

(٤) انظر: إحياء علوم الدين، ٣/١١٢ ـ ١١٤.

تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا. ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[١].

قال النووي في شرح الحديث: «وأما (قيل وقال) فهو الخوض في أخبار الناس وحكايات ما لا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم». وفي ذكره الأقوال في معنى (كثرة السؤال) قال: «وقيل: يحتمل أن المراد كثرة السؤال عن أخبار الناس والزمان وما لا يعني، وهذا ضعيف؛ لأنه قد عرف هذا من النهي عن (قيل وقال). وقيل: يحتمل أن المراد كثرة سؤال الإنسان عن حاله وتفاصيل أمره، فيدخل ذلك في سؤاله عما لا يعنيه، ويتضمن ذلك حصول الحرج في حق المسؤول؛ فإنه قد لا يُؤْثِر إخباره بأحواله، فإن أخبره شق عليه، وإن كذبه في الإخبار أو تكلف التعريض لحقته المشقة، وإن أهمل جوابه ارتكب سوء الأدب»[٢].

إذا كان هذا شأن سؤال الناس عن أحوالهم العادية، فكيف يكون الحال بالنسبة لتجسس أحوالهم وتتبع عوراتهم وسقطاتهم وزلاتهم وإشاعتها بين الناس على وجه الإساءة، ونقل كلامهم على وجه الإفساد؟ والله – عز وجل – يقول: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]، والنبي ﷺ يقول: «يا معشر من قد أسلم بلسانه، ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيِّروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله

---

(١) مسلم (١٧١٥).

(٢) شرح مسلم للنووي ١٢/١٦، وانظر: توجيهات نبوية على الطريق، للسيد محمد نوح ٢/١٢٢، ١٢٣.

عورته يفضحْه ولو في جوف رحله»؟[١].

إنه ظلم المسلم لأخيه، وكفى به جرماً.

ومما شاع الاشتغال به مما لا يعني: تصنيف الناس وتقسيمهم فرقاً وأحزاباً وطوائف وجماعات.. - سواء كان ذلك هو واقعهم أم لا -، والاهتمام بالحكم عليهم حكماً واحداً لا يقبل التفصيل، مع ما يصاحبه من غيبة وتنقُّص وتتبُّع للعورات واتهام للنيات .. وهذا أبعد شيء عن منهج سلف هذه الأمة[٢].

وزيادة على ما في ذلك الأمر من رجم بالظنون - في أحيان كثيرة - فإنه يذكي نار الخلاف وينمي روح الفرقة بين المسلمين.

ولا شك أن الواجب: العدل والإنصاف، بالاعتراف بما عند الآخرين من حق وخير، ومحبتهم بمقدار ذلك، ثم بذل النصيحة الخالصة - بشروطها وآدابها الشرعية - لهم على خطئهم، مع سؤال الله - بصدق - أن يصلح حالهم، وأن يجمع كلمة الأمة على الحق المبين. وهذا منهج سلف الأمة وأئمتها - رحمة الله ورضوانه عليهم -[٣].

ومما لا ينبغي السؤال عنه من أحوال الناس أيضاً: عباداتهم التي يسرُّون بها فيما بينهم وبين خالقهم؛ لأن السؤال عنها يعرِّض المسؤول إما للرياء، أو الكذب، أو للاستحقار، أو للتعب في حيلة دفع الجواب، وعلى الأقل فإن عبادته

---

(١) رواه الترمذي، ح ٢٠٣٢ (٤ / ٣٧٨)، وانظر صحيح سنن الترمذي، ح ١٦٥٥ (٢ / ٢٠٠).

(٢) راجع في ذلك رسالة مفيدة بعنوان: تصنيف الناس بين الظن واليقين، للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

(٣) انظر كتاباً حافلاً بأروع الأمثلة والنماذج على ذلك، بعنوان: منهج أهل السنة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم، لأحمد بن عبد الرحمن الصويان.

ستخرج إلى ديوان العلن، وهو أقل رتبة من عبادة السرِّ.

وكذلك السؤال عن معاصيهم وما يستحيون من ذكره[١]؛ إذ الاستتار بالمعاصي - لمن وقع فيها - مقصود صحيح، بل المجاهرة بالمعصية معصية ومنكر آخر، يحول بين صاحبه وبين العافية[٢].

ومما لا يعني أيضاً: السؤال عن أحوالهم الحسنة التي لا يحبون إظهارها خشية الحسد مثلاً، مثل: نبوغ أولادهم وذكائهم. ونحوه: سؤالهم عن تفاصيل مشكلاتهم التي وقعت لهم مما لا يرغبون اطلاع الناس عليه.

الجزء الثاني: يقع في حاجات تهم الإنسان في أصلها كشؤون المعايش من الطعام والمنام والنكاح والكلام والخلطة والنظر وسائر التحركات..، وما لا يعني فيها: هو الزيادة فيها على قدر الحاجة، وهو ما يعرف بـ (فضول المباحات).

ومن أمثلة هذا النوع:

- ذِكْرُ النساء والجماع بما لا يحقق فائدة ولا تدعو إليه حاجة، ولا شك أنه مما لا يعني[٣]، وأنه من اللغو المأمور باجتنابه.

- الإغراق في تعلُّم الأنساب، وذلك إذا زاد على القدر المطلوب - الذي يحقق فائدة صلة الأرحام[٤]، وحفظ النسب من دخول الأدعياء -، وكذا إذا

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي ٣/١١٣.

(٢) ثبت في صحيح مسلم (٢٩٩٠): «كل أمتي معافاة إلا المجاهرين...» الحديث.

(٣) انظر: نيل الأوطار، ٢/٢٣٧.

(٤) في الحديث: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم...». المسند ٢/٣٧٤، الترمذي (١٩٧٩)، وصححه الألباني.

تعلق بأجداد غير مسلمين؛ لما يخشى من تأديته إلى التفاخر الذي لا يجوز أصلاً؛ فكيف لو تعلّق بكافر؟[١].

ويدخل في هذا الجزء: الاشتغال بالتحسُّر على ما فات من أمور الدنيا؛ مما يدخل في دائرة الحزن الذي كان يستعيذ منه النبي ﷺ.

وقد يدخل فيه: تتبع الإنسان لأقوال الناس فيه وانتقاداتهم له، بما يلهيه عن رسالته وما يعنيه؛ فإن كلام الناس لا زمام له.

وهذان الجزءان مع ثالث هي طرق الشيطان على الإنسان؛ وفي ذلك يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى –: «كل ذي لبٍّ يعلم أنه لا طريق للشيطان عليه إلا من ثلاث جهات:

أحدها: التزيد والإسراف، فيزيد على قدر الحاجة فتصير فضلة، وهي حظ الشيطان ومدخله إلى القلب. وطريق الاحتراز منه: عدم إعطاء النفس تمام مطلوبها من غذاء أو نوم[٢] أو لذة أو راحة. فمتى أغلقتَ هذا الباب حصل الأمان من دخول العدو منه.

الثانية: الغفلة، فإن الذاكر في حصن الذكر، فمتى غفل فتح باب الحصن فولجه العدو، فيعسر عليه أو يصعب إخراجه.

الثالثة: تكلُّف ما لا يعنيه من جميع الأشياء»[٣].

---

(١) انظر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأحمد بن غنيم النفراوي، ٢/ ٣٣٥.

(٢) هذا لا يتنافى مع إعطاء الجسم كفايته من النوم لتنشط النفس لعملها؛ إذ النفس تهوى النوم أكثر من هذا كثيراً. (راجع: زاد المعاد ١/ ١٥٩، مدارج السالكين ١/ ٤٥٩).

(٣) الفوائد، ص ٣٣٤.

وقال - رحمه الله تعالى -: «وقد جمع النبي ﷺ الورع كله في كلمة واحدة، فقال: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) فهذا يعم الترك لما لا يعني من: الكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشي، والفكر، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة؛ فهذه الكلمة كافية شافية في الورع»[١].

لذا فإنه ينبغي ألا يكون حصول الإثم أو عدمه مقياساً وحيداً لمريد الكمال والرفعة في فعله وتركه؛ فذلك حال يُشعر بضعف الإيمان، بل الأنجح له أن يكون الدافع هو حصول الأجر وبلوغ مرضاة الله، وأن يكون الدافع إلى تركه هو عدم ذلك؛ ليكون دائراً في فلك الإحسان، أو حائماً حوله، ومن كانت هذه حاله فهو من أبعد الناس عن دائرة الظلم.

* * *

(١) مدارج السالكين، ٢ /٢٣، ٢٤.

الضابط في معرفة ما يعني وما لا يعني

الضابط في معرفة ما يعني الإنسان مما لا يعنيه هو الشرع المطهر؛ فلا يجوز أن يكون للهوى دخل فيه، قال ابن رجب: «وليس المراد أنه يترك ما لا عناية له ولا إرادة بحكم الهوى وطلب النفس، بل بحكم الشرع والإسلام، ولهذا جعله من حسن الإسلام، فإذا حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه من الأقوال والأفعال»[1].

واليوم يفهم كثير من الناس أن المراد بما لا يعني: شؤون الغير على الإطلاق. وهو خلط في المفاهيم، ولبس في فهم المراد، فإن من شؤون الغير ما يعني الإنسان مباشرة، ومن ذلك:

● ما كان من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإن النبي ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[2]، فترى أن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإيمان، فهو إذن مما يحسن به الإسلام ويزداد به الإيمان.

أما الاحتجاج بقول الله – عز وجل –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] على ترك هذه الشعيرة.. فهو مردود بما جاء عن الصدِّيق – رضي الله عنه – أنه خطب فحمد الله وأثنى

(١) جامع العلوم والحكم، ١/ ٢٨٩.

(٢) أخرجه مسلم، ح ٤٩.

عليه، فقال: «يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ - إلى آخرالآية -، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيِّروه أوشك الله أن يعمهم بعقابه»[١].

وفي الآية ما يؤيد هذا؛ فإن الله قال فيها: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، أي: الزموها وأقبلوا عليها وأصلحوها، ومما يُصلحها: فعل الأمر وترك النهي، ومن المأمورات الواجبة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأيضاً قال: ﴿لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وإنما الاهتداء بطاعة الله وأداء الواجب من الأمر والنهي، ومنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢]؛ فهو مما يعني المؤمن بلا شك.

قال أحمد بن إبراهيم المُقْري: «كان أبو الحسن النوري قليل الفضول، لا يسأل عما لا يعنيه، ولا يفتش عما لا يحتاج إليه، وكان إذا رأى منكراً غيَّره ...»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد، ١/٢، ٥، وانظر السلسلة الصحيحة، للألباني، ح١٥٦٤ (٤/٨٨).

(٢) انظر فتاوى ابن تيمية ١٤/٤٧٩.

وفي الآية أقوال وتفاسير لا تفيد بحال ما يذهب إليه من الاستدلال بالآية على ترك الأمر والنهي عن المنكر، بل العكس هو المراد. يراجع: تفسير الطبري - تحقيق شاكر - ١١/١٥٢، تفسير القرطبي - تحقيق د. محمود عثمان - ٣/٣٢٣، نواسخ القرآن لابن الجوزي ص١٤٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير - تحقيق السلامة - ٣/٢١٢، محاسن التأويل للقاسمي ٤/٤٠٦، التحرير والتنوير لابن عاشور ٧/٧٦، في ظلال القرآن لسيد قطب، ٢/٩٩١.

(٣) معالم القربة في معالم الحسبة، لابن الأخوة القرشي، ص ١٩. ثم ذكر له قصة رائعة في الإنكار. وانظر: إحياء علوم الدين ٢/ ١٥٦.

وكأني بالإمام أحمد - رحمه الله - يرى بعض أهل زماننا ممن يعدّون الاشتغال بهذه الشعيرة مما لا يعنيهم[١]، حين قال لعمر بن صالح: «يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه بينهم مثل الجيفة، ويكون المنافق يشار إليه بالأصابع، فقلت: وكيف يشار إليه بالأصابع؟ فقال: يا أبا حفص، صيَّروا أمر الله فضولاً، قال: المؤمن إذا رأى أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر لم يصبر حتى يأمر وينهى، يعني قالوا: هذا فضول. قال: والمنافق كل شيء يراه قال بيده على أنفه، فيقال: نِعْم الرجل ليس بينه وبين الفضول عمل!»[٢].

● ومما يعني الإنسان بدرجة كبيرة من شؤون الآخرين: شؤون المسلمين وقضاياهم، في أي صقع كانوا، فإن «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً»[٣]، ولكي يشتد البنيان ويقوى فإن الأمر يستدعي متابعة أحوال المسلمين وأخبارهم، وتمحيص الحقائق وتوضيحها، ودفع الشُّبَه والتهم عنهم؛ فذلك نصرة لهم، كما أن من نصرتهم الدعاء لهم والسعي في إصلاح أحوالهم، والتخفيف من معاناتهم.

وتتساءل بحرقة: أين من يرون أن هذا لا يعنيهم من قول المصطفى ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو

---

(١) وهي وسوسة شيطانية ألمح إليها ابن القيم في إغاثة اللهفان ٢ / ١٨٠.

(٢) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية والمنح المرعية، ١ / ١٩٣. وفي فتح القدير لابن الهمام ٧ / ٥١، وتبيين الحقائق للزيلعي ٤ / ١٠٢، ١٠، قال: «قول بعض الجهلة لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: أنت فضولي، يخشى عليه الكفر!».

(٣) الحديث أخرجه مسلم، ح٢٥٨٥.

تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١].

وهكذا نرى أن الانحراف في فهم الحديث، والخلل في معرفة ضابط ما يعني مما لا يعني سبَّبَ إفراطاً وتفريطاً ومشكلات ومفاسد عظيمة بسبب عدم الانضباط بالشريعة، وتحكيم الهوى فيه[٢].

ومن تأمل الواقع وجد لهذا أمثلة عديدة.

نعم إن للآخرين خصوصياتهم وشؤونهم التي لا يعني الإنسان السؤال عنها، فضلاً عن التدخل فيها بأي شكل كان، نحو: الاقتراحات التي تأتي على صورة أمر هو أشبه ما يكون بالإلزام، مع أنها قد تكون في قضايا تتفاوت فيها الآراء والأذواق والعقول، وكأنه يريد حمل كل الناس على رأيه وذوقه وعقله.

ومن تلك **الخصوصيات**: أحوالهم في بيوتهم، ومراكبهم، ومكاتبهم، وأوراقهم، ومتاجرهم، وطرائقهم في العمل والمعيشة، ومقدار مكاسبهم وأرباحهم، ورواتبهم ومدخراتهم.

ولا ينبغي أن نتجاهل هنا مراعاة حقوق القرابة، كالأب مع ابنه، ولكن ينبغي - مع ذلك - أن نعلم أن استرسال الأبوين في التدخل في شؤون أبنائهما المتزوجين - خاصة - صار ينجم عنه مفاسد لا تخفى، وهي بالنسبة للتدخل في شؤون البنت المتزوجة أكثر نكارة وأشد ضرراً.

---

(١) رواه مسلم، ح٢٥٨٥.

(٢) والشريعة التي حددت ما يعني مما لا يعني قصدت إعانة المكلفين على التجرد والانصراف إلى ما يعنيهم. ألمح إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في ذكره لفائدة حساب الشهور بالقمر، (انظر: الفتاوى ٢٥/ ١٣٩).

تحديد ما يعني مما لا يعني

يصعب القول بأن ما يعني الإنسان هو الضروريات فقط[١]؛ لأن الشريعة جاءت برعاية مصالح العباد كلها. ومصالح العباد تشمل الضروريات والحاجيات والتحسينيات.

فأما الضروريات فهي ما لا تقوم حياة الناس إلا به، من إقامة الدين والنفس والنسل والمال والعقل والعرض وحفظها مما يفسدها. ولذا شُرِعَ الجهاد، وأُمر الإنسان بالصلاة، وحُرِّم الزنى وشرب الخمور والسرقة والقذف..

وأما الحاجيات فهي ما يحصل بها «التوسعة والتيسير، ورفع الحرج، والرفق»، كما في رخصة التيمم والفطر، وإباحة الميتة للمضطر، وإباحة الطلاق، والترخيص في بعض المعاملات المشتملة على يسير الجهالة والغرر.

والتحسينيات «راجعة إلى العمل بمكارم الأخلاق وما يحسن في مجاري العادات»، كالأمر بحسن الهيئة، والرفق في المعاملات، والسماحة في البيع والشراء...[٢].

فهذه كلها مما يعني الإنسان ويهمه، وليست كلها من الضروريات.

ولذا فيمكن القول في ضابط ذلك بأن «الذي لا يعنيه: كل ما لا تعود

---

(١) كما قد يفهم مما في تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٦/٦٠٧ فيما نقله عن القاري والغزالي، وما في الفواكه الدواني ٤/٣٠.

(٢) انظر: الموافقات، للشاطبي ٤/٣٤٦ – ٣٥٢.

عليه منه منفعة لدينه ولا لآخرته، والذي يعنيه: ما يخاف فيه فوات الأجر»[١].
وبعبارة أخرى، فكل ما يقرب من الله - عز وجل - فهو مما يعني، وما لا يقرب إليه فهو مما لا يعني.

والأخذ بالمباحات - دون مغالاة - هو مما يهم العبد في دينه ودنياه، بل يهمه العناية بتيسير الحصول عليها بأفضل طريقة وأقل كلفة. والإعراض عن ذلك وإهماله ليس من منهج الإسلام، ولا هدي الرسول ﷺ.

والخطير في الأمر: أن احتياج الناس إلى توفير الحاجيات والتحسينيات - مع تقصير المسلمين في توفيرها - ألجألهم إلى الكفرة الذين سبقوا - في العصر الحاضر - في مجال العمران، حتى كانت لهم الهيمنة.. وهي نتيجة كان من أسبابها: الخطأ في مفهوم الزهد الذي كان للصوفية دور في إشاعته فيما مضى[٢].

ولا يفهم من هذا: تسويغ الإغراق في المباحات، والمبالغة في التوسع فيها حتى تصير وكأنها أهم من الضروريات، كما هو واقع كثيرين اليوم ممن اشتد تعلقهم بالدنيا، فشغلوا بكثير من جزئياتها التي لا تنفعهم، فأغرقوا في التوافه، واهتموا بالشكليات والكماليات والزينات، حتى ضعف تفكيرهم في الآخرة، وغاب عن كثير منهم استحضار النية فيما يحسن لهم الأخذ به من المباحات.

بل الإسلام منهج وسط بين هذا وذاك.

---

(١) حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني، لعلي الصعيدي العدوي، ٢/٤١٥، ٤٣٢.

(٢) راجع: الرسالة، للقشيري ١/١٢٩، ٣٢٦ - ٣٢٨، ومظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، وأثرها السيئ في الأمة، لإدريس محمود إدريس، ٢/٧٧٩ - ٨٥٧.

والمؤمن يرى في المباحات ترويحاً عن نفسه وتنشيطاً لها على الخير .

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى –: «وعمارة الوقت: الاشتغال في جميع آنائه بما يقرِّب إلى الله، أو يعين على ذلك من مأكل أو مشرب، أو منكح، أو راحة، فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله، وتجنب ما يسخطه كانت من عمارة الوقت وإن كان له فيها أتم لذة، فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات والطيبات.

فالمحب الصادق ربما كان سَيْرُه القلبي في حال أكله وشربه، وجماع أهله وراحته، أقوى من سيره البدني في بعض الأحيان...

ولهذا سبب صحيح وهو اجتماع قوى النفس، وعدم التفاتها حينئذ إلى شيء، مع ما يحصل لها من السرور والفرح. والسرور يذكِّر بالسرور، واللذة تذكِّر باللذة، فتنهض الروح من تلك الفرحة واللذة إلى ما لا نسبة بينها وبينها بتلك الجمعية، والقوة والنشاط، وقطع أسباب الالتفات، فيورثه ذلك حالاً عجيبة.

ولا تعجل بالإنكار وانظر إلى قلبك عند هجوم أعظم محبوب له عليه في هذه الحال، كيف تراه؟ فهكذا حال غيرك.

ولا ريب أن النفس إذا نالت حظاً صالحاً من الدنيا قويت به وسُرَّت، واستجمعت قواها وجمعيتها، وزال تشتتها.

اللهم اغفر. فقد طغى القلم، وزاد الكَلِم، فعياذاً بك اللهم من مقتك»[١].

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٦.

وأيضاً فإن الله – تعالى – أخبر أنه كرَّه إلى المؤمنين الكفر والفسوق والعصيان[١]، فلم يبق إذن إلا حسنات ومباحات. والمباحات إنما أبيحت لمن يستعين بها على الطاعات، فتكون حينئذ قربات – بهذه النية –، وهي لم تُبح لمن يستعين بها على المعصية. قال الله – تعالى –: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢] «أي لا تبعة عليهم فيها. ومفهوم الآية: أن من لم يؤمن بالله، بل استعان بها على معاصيه، فإنها غير خالصة، ولا مباحة، بل يعاقب عليها وعلى التنعم بها، ويسأل عن النعيم يوم القيامة»[٢].

وعليه فإن من يترك المعاصي كلها فلا بد أن يشتغل بطاعة الله – عز وجل –[٣]، فليس هناك إلا طاعة أو معصية، وما ثَمَّ إلا تقدم أو تأخر، كما قال – تعالى –: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]، وقال ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[٤].

* * *

(١) كما في سورة الحجرات، الآية: ٧.

(٢) تفسير السعدي، ص ٢٥٠.

(٣) انظر: فتاوى ابن تيمية ٧/ ٥٠ – ٥١.

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٣)، وابن حبان (٨٤٤).

ومن مسائل العلم ما لا يعني!

من المتقرر أن على كل عبد معرفة ما يعنيه، وذلك مختلف من شخص لآخر.

فعموم أفراد الأمة يعني كل واحد منهم – من العلم العيني – ما يعرف به ربه – عز وجل – ويقيم به أركان دينه التي لا يعذر بالجهل بها، كأحكام الطهارة والصلاة مثلاً.

ثم يجب على كل فرد ما يخصه من أحكام عباداته وعمله ومهنته. فالمستطيع للحج يعنيه – وجوباً – تعلُّم أحكام الحج، وصاحب المال يتعلم أحكام الزكاة والمعاملات، وصاحب الزرع عليه تعلُّم أحكام المزارعة وزكاة الزروع والثمار، وهكذا.

والأمة في مجموعها يعنيها – من العلم الكفائي – ما تقيم به شريعة الله في الأرض، وكل ما من شأنه عمارة الأرض، وتحقيق الكفاية عن الكفرة في شتى الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسة والإعلامية...

العالم بالشريعة يعنيه ما لا يعني غيره من مسائل العلم. والمتخصص في علم شرعي أو دنيوي يعنيه ما لا يعني المبتدئ أو المتخصص في فن غير فنه.

وباب التخصص واسع؛ فطلاب علوم الشريعة لهم مجال رحب في دراسة النصوص الشرعية وفقهها، وإعداد الدراسات التأصيلية في فنون الشريعة؛ حيث

تمس الحاجة إليها ولو بعد حينٍ. كما يعنيهم من البحث في مسائل الروح والقدر - مثلاً - ما لا يعني غيرهم.

والاعتدال والتوازن مطلوب فلا يسوغ أن نغرق في التنظير والتأصيل في جانب على حساب بحث نوازل في جانب آخر. ومن المهم هنا أن تُعطى كل مسألة حجمها الشرعي، فمن غير المناسب أن نجد في مسألة الروح - مثلاً - ما يزيد على ألف قول[١]، وقد قال الله فيها: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

الكلام نفسه ينطبق على دراسة العلوم الأخرى التطبيقية والاجتماعية وغيرها.

نعم قد تُحوجنا سعة الخلاف في مسألة إلى الكلام فيها تحقيقاً وتنقيحاً، والحاجة تقدر بقدرها.

وقد تنقلب المسألة من كونها لا تعني إلى أن تصير مما يعني؛ نظراً لما يحف بها من ظروف، ومراعاة لاختلاف الزمان والمكان.

فإذا وجد نص واختلف الناس في فهمه بين نافٍ ومثبت دعت الحاجة إلى البيان فيه بقدر الحاجة[٢].

---

(١) كما نقله الكرمي في أقاويل الثقات ص١٩٢، عن الرملي في شرح الزبد.

(٢) كمسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر على اعتبار أنها مما لايعني، حيث لا يترتب عليها عمل. (انظر مثلاً: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢/ ٤١٠ - ٤١٢)، ورأى شيخ الإسلام ابن تيمية أنها مسألة أثرية سلفية صحابية؛ ولذا انبعثت همته لبحثها! (انظر: الفتاوى ٤/ ٣٥٧، وقد أورد بعض الآثار في المسألة).

ومثال ذلك: ما يثيره المخالفون المجادلون في المسلَّمات العقدية والشرعية؛ فقد تكلم الأئمة في مسائل من علم الفلسفة والمنطق والكلام والقدر رداً على المخالفين.

بقي هنا مسألة: وهي أن الأمور المساعدة في التعلم كالألغاز العلمية والمسابقات ... صارت من الوسائل المهمة في عصرنا؛ نظراً للضعف العلمي العام، وكثرة الملهيات، وقلة المقبلين على العلم الجادين في تحصيله. فالاشتغال بإعدادها والإجابة عليها مما يعني فئة من الناس ويهمهم[١]، فإذا تحققت الفائدة فهي مما يعني.

ويقال مثل هذا في المناظرات والمذاكرة مع الأقران؛ فإنها مما يعني بشرط أن تكون «طلباً للثواب، وإظهاراً للصواب. وقيل: مطارحة ساعة خير من تكرار شهر، ولكن مع منصف سليم الطبع»[٢].

إذا تقرر ما يعني الناس من العلم عُرِف أن هناك أموراً لا تعني ولا تفيد دراستها في شيء، ولا تعدو أن تكون ضرباً من إضاعة الوقت والاشتغال عن المهم النافع، فهي من العلم الذي لا ينفع، وقد استعاذ النبي ﷺ من علم لا ينفع[٣].

---

(١) مع أن من أهل العلم من رأى أنها لا تعني؛ لانعدام فائدتها (انظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي ص٥٥).

(٢) انظر: كشف الظنون ١/ ٤٧.

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

وتتفاوت درجات ما لا يعني ما بين محرَّم، ومكروه، ومتفاوت بينهما، يميل إلى هذا أو ذاك بحسب القرائن والظروف المحيطة به.

فمن المحرم: القول على الله بلا علم. قال الله – عز وجل –: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ويدخل في ذلك: الكلام في ذات الله – تعالى – وكيفيات صفاته – عز وجل –، وكذا التفكير فيها؛ إذ لا يمكن أن تدرك بالعقل، والله – عز وجل – قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وفي الحديث: «يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»[١]. قال الحافظ: «وفي الحديث إشارة إلى ذم كثرة السؤال عما لا يعني المرء، وعما هو مستغن عنه»[٢].

ومن القول بلا علم: الفتوى في الشرعيات بلا علم، والمجادلةُ فيها بغير دليل، قال – تعالى –: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٨، ٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٦).

(٢) الفتح ٦/ ٣٩٣.

● والاشتغال بالفلسفة وكثير من مسائل علم الكلام[١] مما يحرم الاشتغال به. فقد صرح كثير من أساتذته بأنهم لم يجنوا منه إلا كدَّ العقول وتبديد الجهود وإهدار الأوقات وإحلال الفرقة والتناحر. وقد ورد عن الرازي والشهرستاني والغزالي والجويني في ذلك ما فيه العبرة والعظة[٢]. وكلام أئمة الهدى في التحذير من الكلام وأهله كثير[٣].

---

(١) وهو علم يهتم أصحابه بإثبات العقائد الدينية عن طريق العقل، بمعزل عن أدلة الشريعة النقلية والعقلية النقلية، فيقعون في التناقضات والجهليات.

وعلم الكلام وإن سخره بعضهم للدفاع عن عقائد الإسلام، إلا أن ما نجم عنه من المفاسد يرجح ويزيد، ثم إن في الشريعة غنية عنه في هذا المجال وغيره، فهي متضمنة لأدلة عقلية لا يرد عليها اعتراض أبداً.

أما إطلاق علم الكلام على علم العقيدة فذلك ما لا يوافق عليه أهل السنة، فإنه وإن كانت موضوعاتهما واحدة إلا أن منهج الدراسة مختلف كلياً، وهذا موضع الافتراق. (راجع: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضاً ونقداً، لسليمان بن صالح الغصن ١ / ١٩، ٢٧).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ،لابن أبي العز ١ /٢٣٦ – ٢٤٨، إحياء علوم الدين ١ /٩٤ – ٩٧، لسان الميزان، لابن حجر ٤ /٢٤٣.

(٣) قال أبو يوسف: «من طلب الدين بالكلام تزندق...»، وقال الشافعي: «حُكْمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويُطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام». وقال: «لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلماً يقوله، ولأن يبتلى العبد بكل ذنب – ما خلا الشرك بالله – خير له من أن يبتلى بالكلام». (شرح العقيدة الطحاوية ١ / ٢٤٧، وانظر: درء التعارض ٧ / ٢٤٢ – ٢٤٦، والفتوى الحموية لابن تيمية ص٢٠٥ –٢١١، وفي هذا الباب مؤلفات مفردة من أحسنها: ذم الكلام للهروي، وهو محقق في رسالة علمية في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة).

وقد يُحتاج إلى الاشتغال بشيء من الفلسفة والكلام - لمن تمكَّن من فهم عقيدته - للرد على المخالف، وقد استعمل هذا بعض الائمة، منهم: الإمام ابن تيمية، استعمله كثيراً في كتبه مثل: درء تعارض العقل والنقل، والرد على المنطقيين، وكذلك الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان(١). وهذا لأن مخاطبة الفلاسفة والمتكلمين قد لا تتحقق إلا باللغة التي يفهمونها. والمخاطبات كالسلاح يؤخذ منها ما يحتاج إليه(٢).

ومما لا ينبغي الاشتغال به من أمور العلم:

١- الاشتغال ببحث ما أخفي علينا من أمور الآخرة، نحو:

● موعد قيام الساعة. وقد بين الله - عز وجل - للسائلين عن وقتها أنه أخفاها حتى عن نبيه ﷺ، فأنى لهم أن يبلغوا علمها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ووجه النبي ﷺ السائل عنها إلى الاستعداد لها فقال: «ماذا أعددت لها؟»(٣)، ولم يجبه عما سأل؛ إذ يكفي من علمها أنه لا بد من وقوعها.

لقد أخذت هذه المسألة حيزاً من اهتمام بعض الناس اليوم.. فرجموا

---

(١) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة، عثمان بن علي حسن ٢/٧٠٧ - ٧٠٩، أضواء البيان ٤/١٤٨ - ١٥٠، جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٣٨.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه، إذا احتيج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة، كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعرفهم، فإن هذا جائز حسن للحاجة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه» (درء التعارض ١/ ٤٣).

(٣) أخرجه البخاري، ح ٦١٧١، (الفتح ١٠/٥٥٧).

بالظنون، وتعلقوا بالأوهام، وغفلوا عما ينجيهم يوم وقوعها.

شبيه بهذه المسألة: شدة الاهتمام بمواعيد أمارات الساعة، والتلهُّف لمعرفة أوقاتها، والإسهاب في بحث ذلك والتكلف فيه. وغالب الدراسات في هذا الصدد لم تكن منضبطة بالاقتصار على المفيد، ولا بالعناية بالتأصيل الشرعي.

● مثال آخر: الاشتغال بحثاً أو سؤالاً عن صفة ميزان الأعمال. «قال عبد الملك: كنا عند زياد إذ جاءه كتاب من بعض الملوك، فكتب فيه وختمه، ثم قال لنا زياد: إنه سأل عن كفتي الميزان: أَمِنْ ذهب أم من فضة؟ فكتبت إليه: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)»[١].

٢- بعض ما أخفي علينا علمه -؛ لعدم فائدته - مما يكون الاشتغال بمعرفته نوع من العبث، كأسماء وأعداد وأوصاف أشياء ذكرت في القرآن على عمومها دون تقييد، مثل: الطيور الأربعة التي ذبحها إبراهيم - عليه السلام -، وجزء البقرة المضروب بقتيل بني إسرائيل، وعدد أصحاب الكهف، وصفة كلبهم... وهذه ونحوها لا سبيل إلى التحقيق فيها إلا الرجم بالظنون واعتبار الإسرائيليات!

وهذا النوع من الأسئلة كان موضع رفض من السلف! فحين سأل رجل الشعبي، فقال: ما اسم امرأة إبليس؟ قال: ذاك عرس ما شهدته[٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٩/ ٣١٢.

(٢) تذكرة الحفاظ، للذهبي ١/ ٨٨.

٣- تتبع الأغلوطات والغرائب: والغلوطات أو الأغلوطات: شذاذ المسائل وصعابها التي يكثر فيها الغلط، فيتتبعها ويسأل فيها؛ بُغْيَة سقوط العالم وزلته فيها، وإذا كانت في القضايا العظمى فالشر فيها أكثر[1]. فتتبع السقطات والغرائب مما لا يعني. قال إبراهيم بن أدهم: «إذا حملت شاذ العلماء حملت شراً كثيراً»[2].

وكذا الخوض في المتشابهات والمشكلات، والإعراض عن العمل بالمحكمات البينات؛ وذلك طريق للزيغ والضلال، وبعد عن هدي السلف؛ ولذا ضرب عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - صبيغ بن عُسْل لما خاض فيما لا يعنيه من متشابه القرآن ومشكلاته التي يجب ردها إلى المحكم[3].

٤- الخوض في الفتن، ونَصْب النفس حكماً بين المختلفين[4]. وخاصة الفتن الواقعة بين الصحابة - رضوان الله عليهم -. فإن من أصول أهل السنة والجماعة: الكف عما شجر بين الصحابة[5]، «ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم؛ منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه،

---

(١) جاء في النهي عن الأغلوطات حديث رواه أحمد ٥/٤٣٥، وأبو داود (٣٦٥٦) وإسناده ضعيف. وانظر: منهج التلقي والاستدلال، أحمد الصويان ص٩٦.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للبغدادي ٢/٢٢١.

(٣) انظر القصة في الإصابة ٣/٤٥٨، وانظر: الفقيه والمتفقه ٢/١٩، والطرق الحكمية ص ٢٢.

(٤) هذا هو المذموم فيها، دون استنباط الدروس والعبر، ودون بيان الحق من الباطل، فذلك أمر مطلوب.

(٥) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام إسماعيل الصابوني، تحقيق د. ناصر الجديع/ ص٢٩٤.

والصحيح منه: هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون »[١].

قال عمر بن عبد العزيز: « تلك دماء طهَّر الله منها سيوفنا، فلا نخضِّب بها ألسنتنا »[٢].

٥- التندر بالمخالفين من المسلمين، والازدراء بأحوالهم « على وجه الحكايات والأسمار والطُرَف وأحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجّان ونوادر السخفاء »[٣]، فإن ذلك منفِّر لهم ولأتباعهم من قبول الحق واتّباعه.

ومقصود أهل السنة في الرد عليهم: بيان الحق، وكشف الباطل ورده. والرحمة بالمخالف، ألاّ يبقى على الباطل، ومحبة الخير له... فأهل السنة يعرفون الحق ويرحمون الخلق[٤]، وأهل الباطل يكذبون بالحق ويكفِّرون الخلق.

٦- التوسع في العلوم المسماة (علوم الآلة)، كالنحو وأصول الفقه والمنطق، توسعاً زائداً عن الحدّ الذي يحقق المقصود من هذه العلوم. فالنحو مثلاً يدرس

---

(١) العقيدة الواسطية، لابن تيمية، ضمن الفتاوى ٣/ ١٥٥. وراجع: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية ٤/ ٣١١، ٣١٢، ٤٤٨، ٤٤٩، ٥/ ٨١ - ٨٣، والعواصم من القواصم، لابن العربي، ففيه كلام شافٍ في المسألة.

(٢) البحر المحيط، للزركشي ٦/ ١٨٧.

(٣) انظر: إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، لمحمد بن جماعة ص ١٦.

(٤) انظر قصة بليغة لأبي أمامة - رضي الله عنه - في: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي ١/ ١٠٢، ١٠٣ (١٥١)، الاعتصام، للشاطبي ١/ ٧١ - ٧٣. وانظر الفتاوى (الحموية) ٥/ ١١٩.

لتقويم اللسان وفهم البيان، فإذا تجاوز إلى تتبع دقائق مسائله وذكر خلاف النحويين وسرد البراهين.. قطعه ذلك عن الانتقال إلى دراسة العلوم المقصودة بذاتها التي درس النحو من أجلها. وحين وقع هذا في كتابات النحويين المتأخرين كان صارفاً للناس عن دراسة اللغة؛ لأجل ما في النحو من صعوبة وتعقيد![١].

فالذي ينبغي أن تدرس (علوم الآلة) من حيث إنها آلة للتغيير[٢]، وطريق لفهم ما بعدها من العلوم، فأصول الفقه تدرس لاستنباط الأحكام، وعلم المصطلح يدرس لتمييز الصحيح من الضعيف في الحديث.. وهكذا. وإذا ما اتُّبعت هذه الطريقة توفرت الأوقات والجهود، وأقبل الطلاب برغبة على هذه العلوم التي صارت رمزاً للصعوبة عندهم!

٧- أخذ العلم من غير أبوابه، وتجاوز مراحله المهمة، كمن يريد معرفة قسمة المواريث ولا يعرف من الحساب شيئاً... وأحسن أحوال هذا: أن ينفق وقتاً طويلاً، كان يمكن اختصاره[٣].

٨- الاشتغال ببعض جوانب العلم ومسائله التي يقلّ نفعها، أو ينعدم بالكلية، أو تشغل دراستها عما يهم وينفع، كعلم الاجتماع مثلاً[٤]. وذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأزمنة والأمكنة والظروف، وعلى الإنسان أن

---

(١) انظر: فكر ومباحث. لعلي الطنطاوي، ص١٣-١٩، وانظر: التقرير والتحبير في شرح التحرير، لابن أمير حاج ١/ ٢٦.

(٢) انظر: كشف الظنون، للقسطنطيني الحنفي، ١/ ٤٧ - ٤٨، وأبجد العلوم، لصديق حسن خان ١/ ١٢٣.

(٣) تراجع: حاشية العطار على شرح الجلال المحلي، ١/ ٤٣ - ٤٤.

(٤) فهو ضرب من الترف، ونوع من العبث؛ لعقم نظريته وقصور منهجه. راجع كتاب: اعترافات علماء الاجتماع، د. أحمد خضر.

يوازن بين المصالح .

وقد كان للسلف وأهل العلم عناية كبيرة بالتوجيه إلى ما يهم وينفع .

« سأل بشر بن السَّري سفيان الثوري عن أطفال المشركين، فصاح به! وقال : يا صبي أنت تسأل عن ذا ؟!. . . ونقل أحمد بن أصرم عن أحمد أنه سئل في مسألة في اللِّعان ، فقال : سلْ – رحمك الله – عما ابتليت به »[١] .

وسأل رجل مالك بن أنس عن زبور داود ، فقال له مالك : « ما أجهلك ، ما أفرغك ، أما لنا في نافع ، عن ابن عمر ، عن نبينا . . ما يشغلنا بصحيحه عما بيننا وبين داوود عليه السلام ؟!»[٢] .

توحي تلك الأمثلة وغيرها[٣] بمقدار ما لأهل العلم من عناية بالجهود ورعاية للأوقات لئلا تصرف فيما لا ينفع ، حتى ولو كان مسألة واحدة!

بل كان شأنهم هذا منهجاً يتواصون به . قال عكرمة : قال لي ابن عباس : « انطلق فأفْتِ الناس ، فمن سألك عما يعنيه فأَفْته ، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تُفْتِه ، فإنك تطرح عن نفسك ثلثي مؤونة الناس ! »[٤] .

---

(١) الآداب الشرعية والمنح الرعية ، لابن مفلح . ٢ / ٦٩ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي . . للبغدادي ، ٢ / ٢٢٣ .

(٣) تنظر بعض الأمثلة في : تحفة الأحوذي ٧ / ٤١٣ ، فضائح الباطنية ١ / ٩ ، أبجد العلوم ٢ / ٤٢٠ ، الرد على القائلين بوحدة الوجود ١ / ١٠٨ .

(٤) الآداب الشرعية ، لابن مفلح ٢ / ٧١ ، وانظر : إعلام الموقعين ٢ / ١٨٧ ، وحلية الأولياء ٣ / ٣٢٧ .

فماذا يقال حين تصرف حياة أفراد من الأمة في بحوث ودراسات يقلّ نفعها، ولا يؤمل أن يكون له أدنى أثر في نهضة الأمة وحضارتها؟ فكيف إذا علمنا أن كثيراً من جهود الباحثين المسلمين في عزلة عن حاجات الأمة ومتطلبات الحضارة في شتى جوانبها، وخاصة مراكز البحوث والجامعات بما يقوم فيها من دراسات متتابعة؟[١].

إنه أمر محزن؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٩- السؤال عن أمور لا تنفع السائل، بل قد تضرُّه وتسوؤه معرفتها. يقول الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠١، ١٠٢]، فالله - عز وجل -: «ينهى عباده المؤمنين عن سؤال الأشياء التي إذا بينت لهم ساءتهم وأحزنتهم، وذلك كسؤال بعض المسلمين لرسول الله ﷺ عن آبائهم، وعن حالهم في الجنة أو في النار؛ فهذا ربما أنه لو تبين للسائل لم يكن له فيه خير، وكسؤالهم للأمور غير الواقعة، وكالسؤال الذي يترتب عليه تشديدات في الشرع ربما أحرجت الأمة، وكالسؤال عما لا يعني. فهذه الأسئلة وما أشبهها هي المنهي عنها.

وأما السؤال الذي لا يترتب عليه شيء من ذلك فهذا مأمور به، كما قال - تعالى -: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]»[٢].

---

(١) ينظر: حول التربية والتعليم، د. عبد الكريم بكار ٣٣٩ - ٣٤٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص٢٤٥ - ٢٤٦.

١٠- افتراض المسائل التي يستحيل - أو يندر جداً - وقوعها في العادة، ثم الاشتغال ببحثها ودراستها[١]، أو السؤال عنها. وذلك داخل في عموم النهي عن (كثرة السؤال)[٢].

وهذه المسائل عديمة الجدوى قليلة الفائدة إذا ما قيست بما تأخذه من وقت وجهد وما قد تحدثه من خلاف.. فهي إذن لا تستحق ما يبذل فيها.

أما ما دأب عليه الفقهاء من افتراض المسائل غير الواقعة .. والتي يحتمل وقوعها، فذلك مفيد في أمور:

- توضيح القواعد للطلبة، وبيان الأدلة لهم، وتنمية ملكة الاستنباط لديهم، وتدريبهم على الاجتهاد في النوازل[٣].

- بيان أحكام الشريعة لمن يأتي بعدهم، حيث يقل العلم ويفشو الجهل[٤]، ومع أنها لا تغني عن نظر من نزلت فيهم النازلة؛ لكونهم أدرى الناس بظروفها وملابساتها، إلا أنها مفيدة جداً في تصوير المسائل وتنزيل النوازل.

- وقوع أعمال الناس على وفق الصواب لمعرفتهم الحكم قبل الحادثة. ولو تأخر النظر في المسألة إلى حين الواقعة لوقع الناس في حرج[٥].

ومن نظر في حال الشريعة وجد أنها بينت أحكام كثير من الحوادث الواقعة

---

(١) انظر أمثلة لهذه في: تاريخ الفقه الإسلامي، د. عمر الأشقر ص ١٨٣، المدخل الفقهي العام للشيخ مصطفى الزرقا.

(٢) كما في الحديث الذي رواه مسلم (١٧١٥)، وانظر شرح النووي عليه ١٢ / ١٦.

(٣) انظر: الآداب الشرعية ٢ / ٧١.

(٤) راجع: سبل السلام، للصنعاني، ٤ / ٣٤٣.

(٥) انظر: جامع العلوم الحكم، لابن رجب ١ / ٢٥١، ٢٥٢ في شرح الحديث التاسع.

والمتوقعة، كمثل حديث: «إذا وقع الطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع وأنتم فيها فلا تخرجوا منها»[١]، ولما سئل النبي ﷺ عن الوضوء بماء البحر بينه للسائل - الذي عرضت له الحاجة -، وزاده بيان حكم ميتة البحر[٢]؛ لاحتمال احتياجه إلى الحكم مستقبلاً[٣].

ولأجل هذا كان الصحابة ربما سألوا رسول الله ﷺ عن الشيء قبل وقوعه، ليعرفوا ما يجب عليهم حينه.

ومن ذلك: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك»، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله»، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «فأنت شهيد»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو في النار»[٤].

وعن المقداد بن الأسود، قلت: يارسول الله، أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار، فقاتلني، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ بشجرة، فقال: أسلمت لله، أفأقتله يا رسول الله، بعد أن قالها؟ فقال: «لا تقتله»، فقال: يا رسول الله، إنه قطع إحدى يديّ، ثم قال ذلك بعدما قطعها؟! فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول

---

(١) أخرجه أحمد ١ / ١٧٨، وأصله في الصحيحين.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٨٣)، وانظر صحيح سنن أبي داود (٧٦).

(٣) انظر: منهج السلف في السؤال عن العلم وفي تعلم ما يقع وما لم يقع، لعبد الفتاح أبو غدة، ص٣٥.

(٤) رواه مسلم (١٤٠). وانظر: منهج السلف في السؤال عن العلم، لعبدالفتاح أبو غدة ص٣٢ - ٣٣.

كلمته التي قال »[١].

قال ابن رجب: « وقد كان أصحاب النبي ﷺ أحياناً يسألونه عن حكم حوادث قبل وقوعها، لكن للعمل بها عند وقوعها، كما قالوا له: إنا لاقوا العدو غداً، وليس معنا مُدىً، أفنذبح بالقصب؟ وسألوه عن الأمراء الذين أخبر عنهم بعده، وعن طاعتهم وقتالهم، وسأله حذيفة عن الفتن وما يصنع فيها »[٢].

وقال ابن حجر: « ولا مانع من أن يسأل عن حكم ما لم يعلمه؛ لاحتمال أن يحتاج إليه فيما بعد »[٣]. وقد كثرت الفرضيات في فقه أهل الرأي بالعراق؛ لكثرة الحوادث فيه وتوالي الفتن وتجدد الوقائع.. إذا ما قيس بالحجاز الذي لم يخل هو أيضاً من شيء قليل من الرأي. وقد كان لتلك الجهود فضل في إثراء الفقه، وتوضيح معالم القياس والإبداع فيه[٤].

ولقد ذهب بعض أهل العلم إلى ذم المسائل الفرضية، والسؤال عن الشيء قبل وقوعه، محتجين بما ورد في ذم كثرة المسائل، كقوله ﷺ: « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم: كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم »[٥].

---

(١) رواه البخاري (٤٠١٩) ومسلم (٩٥).

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٢٤٣.

(٣) الفتح ٢/ ٦٨٤.

(٤) انظر: تاريخ الفقه الإسلامي، للسايس ٨٤ – ٨٨، والتشريع والفقه في الإسلام، لمناع القطان ٢٢٦ – ٢٢٨.

(٥) أخرجه مسلم (١٣٣٧). وانظر شرح الحديث في: جامع العلوم والحكم، لابن رجب ١/ ٢٣٨ – ٢٥٧. وهو الحديث التاسع فيه؛ فهو مفيد جداً.

وقوله: «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً: من سأل عن شيء لم يحرَّم على المسلمين فحرِّم عليهم؛ من أجل مسألته»[١].

كما احتجوا بما ورد عن السلف من النهي عن السؤال عما لم يقع، وإبائهم إجابة السائل عنه، نحو: ماجاء عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أنه قال: «يا أيها الناس لا تسألوا عن البلاء قبل نزوله، فيذهب بكم ههنا وههنا، وإنكم إن لم تسألوا لم تبتلوا، فإنه لا ينفك أن يكون في المسلمين من إذا قال وفق - أو قال سدد -»[٢].

وسأل ميمون ابن عباس عن رجل أدركه رمضانان، فقال: أكان أو لم يكن؟ قال: لم يكن بعد، قال: اترك بلية حتى تنزل...[٣].

واستفتى رجل أبيّ بن كعب، فقال: «يا أبا المنذر، ما تقول في كذا وكذا، قال: يا بني، أكان الذي سألتني؟ قال: لا، قال: أمّا لا، فأجلني حتى يكون، فنعالج أنفسنا حتى نخبرك»[٤].

والجواب على ما سبق: أن النهي عن السؤال في العهد النبوي إنما كان خشية أن ينزل ما يشق عليهم، وقد زال المحذور[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٩)، ومسلم (٢٣٥٨).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢٩٣)، وحسن الحافظ إسناده في المطالب العالية (٣٠٠٩). وجاء مرفوعاً إلى النبي ﷺ مرسلاً عند الدارمي (١١٦)، وموصلاً عند الطبراني في الكبير ٢٠/ ١٦٧. وانظر: فتح الباري ١٣/ ٢٨٠ - ٢٨١.

(٣) سنن الدارمي (١٥٦).

(٤) سنن الدارمي (١٥١).

(٥) نقله ابن حجر في الفتح ١٣/ ٢٧٨، عن ابن العربي، وانظر الفقيه والمتفقه ٢/ ١٦، ١٧.

وأما رفض بعض السلف إجابة السائل عما لم يقع فمحمول من بعضهم على التهيُّب من الاجتهاد فيما لا نص فيه؛ خشية الزلل، وخاصة أن لهم مندوحة عن ذلك حتى تقع النازلة، فيوفق الله – تعالى – للقول الحق فيها من قصد إصابة الحق[1].

أما الرأي المذموم في قول جمهور أهل العلم فهو «القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون، والاشتغال بحفظ المعضلات والأغلوطات، ورد الفروع والنوازل بعضها على بعض قياساً، دون ردها على أصولها والنظر في عللها واعتبارها...»[2].

والبحث فيما لا نص فيه، وما لم يقع بعد ليس ممنوع مطلقاً على التحقيق.

قال الحافظ ابن حجر: «قال بعض الأئمة: والتحقيق أن البحث عما لا يوجد فيه نص على قسمين؛ أحدهما: أن يبحث عن دخوله في دلالة النص على اختلاف وجوهها، فهذا مطلوب، لا مكروه، بل ربما كان فرضاً على من تعيَّن عليه من المجتهدين. ثانيهما: أن يدقق النظر في وجوه الفروق، فيفرق بين متماثلين بفرق ليس أثر في الشرع، مع وجود وصف الجمع، أو بالعكس بأن يجمع بين متفرقين بوصف طردي مثلاً، فهذا الذي ذمه السلف، وعليه ينطبق حديث ابن مسعود منه: (هلك المتنطعون) أخرجه مسلم، فرأوا أن فيه تضييع الزمان بما لا طائل تحته، ومثله: الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها في الكتاب ولا السنة ولا الإجماع، وهي نادرة الوقوع جداً...»[3].

---

(١) انظر: الفقيه والمتفقه ٢ / ٢٢.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر ٢ / ١٣٨.

(٣) الفتح ١٣ / ٢٨١.

وقال ابن القيم: «والحق التفصيل؛ فإن كان في المسألة نص من كتاب الله أو سنة عن رسول الله ﷺ أو أثر عن الصحابة لم يكره الكلام فيها، وإن لم يكن فيها نص ولا أثر؛ فإن كانت بعيدة الوقوع أو مقدرة لا تقع لم يستحب له الكلام فيها، وإن كان وقوعها غير نادر ولا مستبعد وغرض السائل الإحاطة بعلمها ليكون منها على بصيرة إذا وقعت استحب له الجواب بما يعلم، لا سيما إن كان السائل يتفقه بذلك، ويعتبر بها نظائرها، ويفرع عليها، فحيث كانت مصلحة الجواب راجحة كان هو الأولى، والله أعلم»[١].

وأما السؤال فإنما ينهى عنه إذا كان على سبيل التعنت والمغالطة، ولم يقصد به التفقه والفائدة[٢]، أو كان الدافع إليه التنطع والتشدد[٣]، أو الحامل عليه الفراغ والفضول والانشغال بما لا يعني... ولا ينبغي إجابة السائل في كل هذه الحالات – كما تقدم –. فإذا ما خلا السؤال عن تلك المحاذير[٤] فإنه لا بأس به، بل هو محمود مندوب إليه إذا كان للاستفهام عن أدلة الشرع وفهمها، بل هذا النوع من السؤال مما يميز طالب العلم، وهو من أفضل طرق التعلم، وقد مُدح ابن عباس – رضي الله عنهما – بأن له لساناً سؤولاً وقلباً عقولاً[٥].

فالمعلم مندوب إلى الاهتمام بأسلوب السؤال في مجال التعليم. والمفتي

---

(١) إعلام الموقعين ١٤ / ٣٧٧ – ٣٧٨.

(٢) انظر: الفقيه والمتفقه، للبغدادي ٢ / ١٩.

(٣) انظر: الفتح ١٣ / ٢٨١.

(٤) ذكر الشاطبي في الموافقات (٥ / ٣٨٧) عشرة مواضع يكره فيها السؤال. وانظر كلامه في مُلح العلم (١ / ٤٣ – ٦٦).

(٥) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٢ / ٣٢٣.

مندوب إلى إجابة السائل المتعلم إذا سأل عما لم يقع؛ حذراً من كتمان العلم[١].

وعلى هذا النحو ساغ افتراض المسائل وتفريعها وتخريجها على الأدلة الشرعية، مع اجتناب المبالغة التي أنكر بسببها من أنكر الفرضيات من أهل العلم[٢]؛ إذ الوسط منهج أهل الحق، وقد لخص الحافظ ابن حجر المسألة بقوله:

«فمن يسد باب المسائل حتى فاته معرفة كثير من الأحكام التي يكثر وقوعها فإنه يقل فهمه وعلمه، ومن توسع في تفريع المسائل وتوليدها ولا سيما فيما يقل وقوعه أو يندر، ولا سيما إن كان الحامل على ذلك المباهاة والمغالبة، فإنه يذم فعله، وهو عين الذي كرهه السلف.

ومن أمعن النظر في البحث عن معاني كتاب الله، محافظاً على ما جاء في تفسيره عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه الذين شاهدوا التنزيل، وحصّل من الأحكام ما يستفاد من منطوقه ومفهومه، وعن معاني السنة وما دلت عليه مقتصراً على ما يصلح للحجة منها، فإنه الذي يحمد وينتفع به. وعلى ذلك يحمل عمل فقهاء الأمصار من التابعين فمن بعدهم، حتى حدثت الطائفة الثانية[٣] فعارضتها الطائفة الأولى، فكثر بينهم المراء والجدال، وتولدت البغضاء، وتسموا خصوماً وهم من أهل دين واحد، والواسط هو المعتدل

---

(١) انظر: مطالب أولي النهي في شرح غاية المنتهى، للرحيباني ٦/ ٤٤٢.

(٢) انظر مثلاً: سبل السلام، للصنعاني ٤/ ٣٤٣.

(٣) التي تجاوزت ببحثها الحدّ المطلوب، وراجع النقل المتقدم - آنفاً - عنه.

من كل شيء...»[١].

أما تساؤل الفاروق عمر – رضي الله عنه – وهو على المنبر عن قوله – تعالى –: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، ثم قوله: «لعمرك يا ابن الخطاب! إن هذا لهو التكلف»[٢]، فليس يفيد الإعراض عن فهم معاني القرآن والبحث عن مشكلاته[٣]، «ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل، وكان التشاغل بشيء من العلم لا يُعمل به تكلفاً عندهم، فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره، وقد عُلم من فحوى الآية أن الأبَّ [بعض] ما أنبته الله للإنسان متاعاً له أو لأنعامه، فعليك بما هو أهمُّ، من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يُشْكِلْ، مما عُدِّد من نعمه، ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأبّ ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له، واكتفِ بالمعرفة [الجُمْلية] إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت. ثم وصَّى الناس بأن يَجروا على هذا السَّنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن»[٤].

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٢٨١، وانظر: جامع العلوم والحكم ١/ ٢٤٩، ٢٥٠.

وللاستزادة في هذه المسألة تراجع رسالة: منهج السلف في السؤال عن العلم، وفي تعلم ما يقع وما لم يقع، لعبد الفتاح أبو غدة، فقد أفدت منها كثيراً.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٤/ ٢٢٩، وصحح ابن كثير إسناده في التفسير (٨/ ٣٢٥).

(٣) قال ابن القيم: «فالصحابة أخذوا عن رسول الله ﷺ ألفاظ القرآن ومعانيه، بل كانت عنايتهم بأخذ المعاني أعظم من عنايتهم بالألفاظ، يأخذون المعاني أولاً، ثم يأخذون الألفاظ». (مختصر الصواعق ٢/ ٣٣٩)، وقد بين الإمام ابن تيمية عناية الصحابة بفهم القرآن من ستة أوجه. (الفتاوى ٥/ ١٥٦ – ١٥٩).

(٤) الكشاف للزمخشري ٤/ ٢٢٠. والتصويبات بين الأقواس من التحرير والتنوير، لابن عاشور ٣٠/ ١٣٣.

المهم أن نفهم أن دين الإسلام جاء لإقامة مصالح العباد، فما لم يتعلق بمصالحهم فلا يسوغ الاشتغال به. وهذا هو منهج الإسلام.

«إنه منهج واقعي جادٌّ يواجه وقائع الحياة بالأحكام المشتقة لها من أصول شريعة الله، مواجهة عملية واقعية.. مواجهة تقدر المشكلة بحجمها وشكلها وظروفها كاملة وملابساتها، ثم تقضي فيها بالحكم الذي يقابلها ويغطيها ويشملها وينطبق عليها انطباقاً كاملاً دقيقاً»[1].

«إن التفكير الواقعي في معالجة شؤون الناس هو الذي أنجح الإسلام قديماً، وجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً. أما معظم مسلمي اليوم فأبعد شيء عن قضايا الشعوب المصيرية الشاملة»[2].

* * *

(١) في ظلال القرآن، ٢/٩٨٧، ٩٨٨.

(٢) هموم داعية، محمد الغزالي ص١٢٩.

حفظ الأبواب الأربعة

تورُّط الإنسان فيما لا يعنيه: أمرٌ له أسبابه وخلفياته، وله مداخله وطرائقه وأبوابه. ومعرفة هذه الأشياء مقدمة للأخذ بالعلاج.

قال ابن القيم: «من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه: اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات. فينبغي أن يكون بوَّاب نفسه على هذه الأبواب الأربعة، يلازم الرباط على ثغورها؛ فمنها يدخل العدو، فيجوس خلال الديار، ويتبِّر ما علا تتبيراً... وأكثر ما تدخل المعاصي على العبد من هذه الأبواب الأربعة»[١].

وكذا انشغاله بما لا يعنيه فإنه يَلِجُ من هذه الأبواب، ولذا فلا بدَّ من الوقوف معها:

أولاً: النظر:

لا غنى للإنسان عن نظر يبصر به طريقه، ويعرف به مكانه، ويدرك به حاجته، ويتأمل به في خَلْقِ ربه...

لكن المتأمل في واقعنا يرى مدى التجاوز بهذه النعمة العظيمة إلى ما لا يعني.

ولا شك أن الانشغال بالنظر الفارغ المشتت فيما لا طائل من ورائه – في أي

---

(١) الجواب الكافي، لابن القيم، ص١٥٨.

ميدان كان[1] - .. ليس من شأن الجادين الساعين للتقدم دائماً ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧] فيجتهدون في تركه، وإن كان مباحاً، ويجاهدون أنفسهم على اجتنابه مهما كان الأمر صعباً. ولا يخفى أن هذا النظر المباح يصير ممنوعاً إذا ألهى عن فعل الواجبات.

ومن النظر الذي لا يعني: النظر للقراءة في غثّ الكتب والمجلات، كالقصص الخيالية والبوليسية - التي ليس فيها إلا مجرد الاستمتاع النفسي بتصور الأحداث -، وكالزوايا الفارغة من المحتوى المفيد كأخبار الرياضة والفنّ، وأخبار الكلاب ونحو ذلك.

وإذا كان كذلك فإن النظر إلى المحرمات هو مما لا يعني من باب أوْلى، وخاصة النظر إلى العورات ومحارم الناس؛ فإن ذلك أشد قبحاً عند من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ومن تطلعت نفسه للنظر المحرم وتاقت إليه ورأى صرفها عنه بالتوسع في النظر المباح - حيث لم تصبر على النظر الجاد المفيد -.. فله ذلك؛ لأنه أخف الضررين، على أن يكون ذلك إجراءاً علاجياً يجتهد بعده في صرف نفسه عنه إلى النظر المفيد.

وهذه قاعدة مهمة، تشمل النظر والأبواب الأخرى - الآتي ذكرها - من الخواطر والكلام وسائر التحركات والأفعال.

---

(١) وكذلك السمع وسائر الجوارح. فمثلاً ذكر ابن الحاج (المدخل٤ / ٣٢) في آداب الجالس في السوق: «أن لا يلقي سمعه لما أهل السوق يخوضون فيه، وينوي بذلك امتثال السنة، ولئلا تتعمَّر ذمته بما لا يعنيه، وإذا تعمَّرت قلَّ أن يتخلص!».

ثانياً: الخواطر والأفكار:

باب الخواطر والأفكار أمره يستحق العناية؛ لما لها من تأثير قوي في أقوال المرء وتصرفاته وأفعاله.

« فإنها مبدأ الخير والشر، ومنها تتولد الإرادات والهمم والعزائم، فمن راعى خطراته ملك زمام نفسه وقهر هواه، ومن غلبته خطراته فهواه ونفسه له أغلب، ومن استهان بالخطرات قادته قهراً إلى الهلكات، ولا تزال الخطرات تتردد على القلب حتى تصير منىً باطلة »(١).

والخواطر النافعة التي تعني المرء هي: ما كان في جلب مصلحة دين أو دنيا، أو دفع مفسدة دينية أو دنيوية.

وأنفعها ما كان لله والدار الآخرة، كالتفكير في معاني آيات القرآن الكريم وفهم مراد الله منه، والتفكير في آيات الكون المشهودة والاستدلال بها على أسماء الله وصفاته وحكمته، والتفكير في آلائه وإحسانه وإنعامه، والتفكير في عيوب النفس وآفاتها وعيوب العمل ونقصه، والتفكير في واجب الوقت ووظيفته. فهذه خمسة أنواع.

فـ « الكمال في امتلاء القلب والسر من الخواطر والإرادات والفكر في تحصيل مراضي الرب – تعالى – من العبد ومن الناس، والفكر في طرق ذلك والتوصل إليه؛ فأكمل الناس: أكثرهم خواطر وفكراً وإرادات لذلك، كما أن أنقص الناس: أكثرهم خواطر وفكراً وإرادات لحظوظه وهواه أين كانت »(٢).

---

(١) الجواب الكافي، لابن القيم، ص١٦١.

(٢) الجواب الكافي، لابن القيم، ص١٦٢ – ١٦٥.

وبينهما من ينشغل بكثير مما لا يعنيه حتى تنصرف همته عما يعنيه، فيضيِّع دنياه وآخرته.

فماذا تجدي الخواطر والأفكار الفارغة، وتصور الأشياء الخيالية أو بعيدة الوقوع؟

إن الواجب ضبط الذهن، وعدم ترك المجال له يسترسل في الخواطر والشطحات والخيالات الواسعة التي تقلّب صاحبها في أودية الدنيا وشعابها، وتنقله من شيء إلى آخر غير أنها لا توقفه على ما يهمه، وهذا شأن التفكير الفوضوي غير المنظم. أما التفكير المنظم المدروس فهو حاجة ماسة للعبد، ومطلب مُلِحٌّ للأمة تنتقل به نقلات في طريق الريادة.

أما كيف الوصول إلى ذلك؟

فأحسب أننا بحاجة إلى خبرة متخصص في علل القلوب وأمراضها(١) .. يشخِّص المرض، ويحلل أسبابه، ويشرح العلاج، ويوضح بالمثال، بكلام طويل(٢)، منه قوله:

«واعلم أن الخطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر، فيأخذها الفكر فيؤديها إلى التذكر، فيأخذها الذكر فيؤديها إلى الإرادة، فتأخذها الإرادة فتؤديها إلى الجوارح والعمل، فتستحكم، فتصير عادة. فردّها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوتها وتمامها.

---

(١) هو الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى.

(٢) في كتابه: الفوائد ص ٣٠٦ – ٣١١. وقد نقلت هنا بعضه.

ومعلوم أنه لم يعْط الإنسان إماتة الخواطر، ولا القوة على قطعها، فإنها تهجم عليه هجوم النَّفَس، إلا أن قوة الإيمان والعقل تعين على قبول أحسنها ورضاه به ومساكنته له، وعلى دفع أقبحها وكراهته له ونفرته منه، كما قال الصحابة: يارسول الله، إن أحدنا يجد في نفسه ما لأن يحترق حتى يصير حُمَمَة[١]، أحب إليه من أن يتكلم به، فقال: «أوَ قد وجدتموه؟» قالوا: نعم. قال: «ذاك صريح الإيمان»، وفي لفظ: «الحمد لله الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة».

وفيه قولان: أحدهما: أن رده وكراهته صريح الإيمان، والثاني: أن وجوده وإلقاء الشيطان له في النفس صريح الإيمان، فإنه إنما ألقاه في النفس طلباً لمعارضة الإيمان وإزالته به.

وقد خلق الله - سبحانه - النفس شبيهة بالرحى[٢] الدائرة التي لا تسكن، ولا بد لها من شيء تطحنه، فإذا وُضِع فيها حب طحنته، وإن وضع فيها تراب وحصى طحنته. فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى، ولا تبقى تلك الرحى معطلة قط، بل لابد لها من شيء يوضع فيها، فمن الناس من تطحن رحاه حباً يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملاً وحصىً وتبناً، ونحو ذلك؛ فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحنه».

ثم قال شارحاً العلاج: «فإذا دفعت الخاطر الوارد عليك اندفع عنك ما

(١) أي: فحمة. من شدة كراهتهم لذلك الخاطر الشيطاني.

(٢) هي الطاحون.

بعده، وإن قبلته صار فكراً جوالاً، فاستخْدَم الإرادة، فتساعدت هي والفكر على استخدام الجوارح، فإن تعذر استخدامها رجعا إلى القلب بالتمني والشهوة وتوجهه إلى جهة المراد.

ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار، وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات، وإصلاح الإرادات أسهل من تدارك فساد العمل، وتداركه أسهل من قطع العوائد.

فأنفع الدواء: أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لايعنيك، فالفكر فيما لا يعني باب كل شر، ومن فكّر فيما لا يعينه فاته ما يعنيه، واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه. فالفكر والخواطر والإرادة والهمة أحق شيء بإصلاحه من نفسك، فإن هذه خاصتك وحقيقتك التي تبتعد بها أو تقرب من إلهك ومعبودك الذي لا سعادة لك إلا في قربه ورضاه عنك، وكل الشقاء في بعدك عنه وسخطه عليك، ومن كان في خواطره ومجالات فكره دنيئاً خسيساً لم يكن في سائر أمره إلا كذلك.

وإياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك، فإنه يفسدها عليك فساداً يصعب تداركه، ويلقي إليك الوساوس والأفكار المضرّة، ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت الذي أعنته على نفسك، بتمكينه من قلبك وخواطرك فملكها عليك...

وجماع إصلاح ذلك: أن تشغَلَ فكرك في باب العلوم والتصورات: بمعرفة ما يلزمك من التوحيد وحقوقه، وفي الموت وما بعده إلى دخول الجنة والنار،

وفي آفات الأعمال وطرق التحرز منها. وفي باب الإرادات والعزوم: أن تشغل نفسك بإرادة ما ينفعك إرادته، وطرح إرادة ما يضرك إرادته...

وأصل صلاح هذه الرحى: بالاشتغال بما يعنيك، وفسادها كله: في الاشتغال بما لا يعنيك...»[١].

ثالثاً: اللسان:

الأمور التي لا تعني الإنسان كما أنها تكون في أفعاله فإنها تكون في أقواله أيضاً؛ فإنها من عمل الإنسان، وهذا ما يغفل عنه أكثر الناس، فلا يعتبرون أقوالهم جزءاً من عملهم. وهذا عمر بن عبد العزيز يصحح لهؤلاء مفهومهم، فيقول: «من علم أن الكلام من عمله أمسك عن الكلام إلا فيما يعنيه»[٢]. بل إن «أكثر ما يراد بترك ما لا يعني حفظ اللسان من لغو الكلام»[٣]، يشهد لذلك قول النبي ﷺ: «إن من حسن إسلام المرء قلةَ الكلام فيما لا يعنيه»[٤].

وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه -: «من فقه الرجل قلة الكلام فيما لا يعنيه»[٥].

ويكفي دافعاً لحفظ ألفاظ المرء قول الله - تعالى -: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ

---

(١) الفوائد: ٣٠٩ - ٣١١.

(٢) الزهد للإمام أحمد ص٢٩٦، وانظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ٢٩١.

(٣) جامع العلوم والحكم، ١/ ٢٩٠.

(٤) أخرجه أحمد، ١/ ٢٠١، وهو حسن لغيره.

(٥) أدب المجالسة، لابن عبد البر، ص٦٨.

لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وقول النبي ﷺ: «وهل يكب الناسَ في النار على وجوههم -أو على مناخرهم- إلاَّ حصائدُ ألسنتهم»[١].

و«حفظها بأن لا يخرج لفظة ضائعة؛ بأن لا يتكلم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه، فإذا أراد أن يتكلم نظر: هل فيها ربح وفائدة أم لا؟ فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر: هل تفوت بها كلمة هي أربح منها؟ فلا يضيعها بهذه»[٢].

قال ابن عباس - رضي الله عنه: «خمس لهُنّ أحسن من الدُّهم الموقَفَة: لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنه فضل، ولا آمن عليك الوزر، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً، فإنه رُبَّ متكلم في أمر قد وضعه في غير موضعه فيعنت...»[٣].

«وإذا أردت أن تستدل على ما في القلب فاستدل عليه بحركة اللسان، فإنه يطلع على ما في القلب شاء صاحبه أم أبى...

ومن العجب: أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنى، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر المحرم، وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والعبادة والزهد، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالاً ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب! وكم ترى من رجل متورع عن

---

(١) أخرجه الترمذي، ح ٢٦١٦، وقال: حسن صحيح، وأحمد ٥/ ٢٣١.

(٢) الجواب الكافي، ص١٦٥.

(٣) الصمت لابن أبي الدنيا ص ٩٥ (١١٤)، وإسناده ضعيف كما ذكر المحقق.

الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي بما يقول!»[١].

وحدُّ الكلام فيما لا يعني: أن يتكلم بكلام لو سكت عنه لم يأثم، ولم يتضرر به في حال ولا مآل، كذكر أخبار الأسفار والوقائع اليومية والأطعمة والألبسة، وسؤال الغير عن عبادته، وعن مكانه الذي كان فيه، وعن كلامه الذي قاله لفلان.. مما يوقع المسؤول في الحرج أو الكذب[٢].

والواقع أن الإنسان يحتاج قدراً من الكلام بشكل غير مباشر، وذلك ما كان من باب المباسطة على سبيل التودد لبلوغ مصلحة، أو دفع مفسدة، وخاصة إذا قارنته نية صالحة[٣]، وذلك نحو: ملاطفة أخ، أو مؤانسة قريب أو ضيف، أو تسلية محزون أو مصاب، أو ملاطفة الرجل أهله وحسن معاشرته لهم.. ونحو ذلك مما يستحب، وقد يصبح واجباً بما يحف به من قرائن كغلبة المصلحة المرجوة ووجوب تحصيلها، أو رجحان المفسدة ووجوب دفعها. لكن لا شك أنه باب يشق ضبطه إلا على الجادِّين الموفقين، وقليلٌ مَّا هم.

ومن الكلام الذي لا يعني: الزيادة فيما يعني على قدر الحاجة[٤]، وهو أمر نسبي.

وكلام الأئمة في التحذير مما لا يعني من فضول الكلام كثير جداً[٥].

---

(١) الجواب الكافي، ص١٦٥ - ١٦٧.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، ٣/١١٣، ١١٤.

(٣) انظر الفواكه الدواني، ٤/٣٠، ٢٩.

(٤) انظر: إحياء علوم الدين، ٣/١١٣، ١١٤.

(٥) وقد أكثر منه ابن القيم - رحمه الله تعالى - في مواضع عديدة من كتبه. ومما نقله عن =

ولا يخفى أن ترك الغيبة والنميمة والبهتان وقول الزور.. كل ذلك داخل في الحديث من باب أوْلى.

وبالجملة: فينبغي إدراك مخاطر اللسان، ومعرفة آفاته، والسعي الجادُّ في اجتنابها، خشية الزلل الذي يلقي بصاحبه في الدركات والهلكات، ولا أقل من حرمانه من درجة كان يمكن بلوغها بشغل اللسان بطاعة الله عز وجل.

ويكفي أن في الكلام فيما لا يعني من الأضرار: «تضييع الوقت، وقساوة القلب، ووهن البدن، وتأخير الرزق، وإيذاء الحفظة، وإرسال الكتاب من اللغو إليه تعالى، وقراءته بين يديه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، والحبس عن الجنة، والحساب، واللوم، والتعيير، وإيقاع الحجة، والحياء منه - تعالى - »[١].

جاء في الحديث: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه»[٢].

وقيل: سئل لقمان عما بلغ به مكانته فقال: «صدق الحديث، وطول السكوت عما لا يعنيني»[٣].

= الإمام الشافعي: أن ترك الفضول من الكلام يزيد في العقل. (زاد المعاد: ٤ / ٤٠٩).

(١) بريقة محمودية، للخادمي، ٤ / ٣٠ وانظر: ٤ / ٢٧.

(٢) أخرجه الترمذي، ح ٢٣١٩، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني، ح ١٨٨٨.

(٣) الصمت، لابن أبي الدنيا (١١٦)، ضمن موسوعة رسائله.

وقال محمد بن عجلان : « إنما الكلام أربعة : أن تذكر الله ، أو تقرأ القرآن ، أو تسأل عن علم فتخبر به ، أو تتكلم فيما يعنيك من أمر دنياك »[١] .

« قال الحسن بن حميد :

إذا عقل الفتى استحيا واتقى   وقلَّت من مقالته الفضول »[٢] .

رابعاً: الحركات والخطوات:

يتذرع أكثر المقصرين في واجباتهم بضيق الوقت وقلة الفراغ ، وحين التفتيش في واقع الأمر ترى أن من أبرز أسباب ذلك : استهلاك جلٍّ أوقاتهم فيما لا يعنيهم .

ومجالس هؤلاء تنبئك عن كثير من ذلك ؛ فتراها بيئة خصبة للهو واللغو ، ونموذجاً للسلبية ، ومحضناً للغفلة ، وطريقاً إلى هدر العمر .. حين خلت الاهتمامات مما يعني وينفع . وهذا المنكر تشتد نكارته حين يبتلى به بعض الصالحين الذين دبَّ إليهم داء البطالة ، فصارت اجتماعاتهم رمزاً لها .. فصدق فيهم وصف العالم الرباني ابن القيم حين قال : « الاجتماع بالإخوان قسمان : أحدهما اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت ، فهذا مضرته أرجح من منفعته ، وأقل ما فيه : أنه يفسد القلب ويضيع الوقت »[٣] .

ولكون المجلس قد يكون في أصله هادفاً ، فيحصل له تحوُّل وانحراف عن

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ، ٩ / ٢٠٢ .

(٢) التمهيد لابن عبد البر ، ٩ / ٢٠٠ .

(٣) الفوائد لابن القيم ، ص٥١ ، ٥٢ .

مقصده[١] . . فإن ابن القيم يحذر من آفات تعرض للمجالس الجادة، فيذكر القسم الثاني فيقول: «الثاني: الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها، ولكن فيه ثلاث آفات: إحداها: تزيُّن بعضهم لبعض[٢]، الثانية: الكلام والخلطة أكثر من الحاجة، الثالثة: أن يكون ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود»[٣]. على أن ذلك ينبغي أن لا يكون مانعاً من غشيان مجالس الأخيار والتزام مجالسة الصالحين والمربين؛ إذ الخير المحض الخالص عزيز نادر، والنقص ملازم للنفس البشرية.

غير أنه من الأهمية بمكان: حسن الانتقاء والتفرُّس في الجلساء، وحمل النفس على التزام المجالس النافعة، ومجاهدتها خلالها، ومحاسبتها على النية والقول والفعل مما يصدر في المجلس؛ لأن إهمالها يسرِّب الآفات، وقد يحوِّل المسار إلى ما لا يعني . . . وحينئذ لا تأمن على النفس التي أَلِفَت مجالس اللغو والبطالة أن تحضر مجالس السوء والباطل وأن تألفها، وتلك هي خطوات الشيطان.

«وبالجملة: فالاجتماع والخلطة لقاح، إما للنفس الأمَّارة، وإما للقلب والنفس المطمئنة، والنتيجة مستفادة من اللقاح؛ فمن طاب لقاحه

(١) انظر: المدخل، لابن الحاج، ١/ ٤٤.

(٢) أي اهتمام بعضهم لبعض بانتقاء الكلام وتنميقه، مع ضعف في النية. وقد يدخل فيه: التزين في اللباس والأثاث والمطعم.

(٣) الفوائد، ص٥٢.

طابت ثمرته، وهكذا الأروح الطيبة لقاحها من الملك، والخبيثة لقاحها من الشيطان، وقد جعل الله – سبحانه – بحكمته الطيبات للطيبين، والطيبين للطيبيات»[١] .

ونظرة في اهتمامات الناس وأعمالهم تعرفك مدى انشغالهم بما لا يعنيهم؛ فالإسراف في أنواع اللهو والمتعة والرياضة والألعاب المسلية، وسائر حركات العبث بالأيدي والأرجل وغيرها، وهوايات جمع الطوابع، والتحف، والنوادر، والعملات، والمسابقات التافهة، وكتب الطبخ والأزياء، وجلسات السمر، وأسفار السياحة غير المفيدة، والإفراط في متابعة ما يعرض في الشاشات المتنوعة، وتتبع الأخبار العالمية الدقيقة – التي لا تعني إلا أصحابها – والإغراق في قراءة الصحف والمجلات، والدراسات عديمة الجدوى.. وغيرها كثير مما قد ينهى عنه لكونه يلهي أو يطغي، ناهيك عن سماع المحرمات الواضحات والنظر إليها، كمسابقات عارضات الأزياء، وملكات الجمال.. كلها تعرفك بالهوة السحيقة بين هذا العالم وبين مصلحته، وتبين لك ضلال سعيه وهو يحسب أنه يحسب صنعاً! وإذا لم يستغرب ذلك ممن لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، فما بال المسلمين؟!

حقيقة مُرَّة.. وتزداد مرارة حيث ينظر المرء في كثير من اهتمامات بعض من أنعم الله عليهم بالهداية، فإذا هي بين اهتمام بدنيا، أو انشغال بما لا يعني! ولهؤلاء يتوجه الخطاب أولاً بأن يراجعوا أنفسهم قبل نفاد العمر.

قال ابن القيم: «وأما الخطوات فحفظها بأن لا ينقل قدمه إلا فيما يرجو

---

(١) المصدر السابق.

ثوابه، فإن لم يكن في خطاه مزيد ثواب فالقعود عنها خير له، ويمكنه أن يستخرج من كل مباح يخطو إليه قربة ينويها لله، فتقع خطاه قربة»[١]، وهكذا سائر حركات الجوارح وأعمال البدن.

* * *

(١) الجواب الكافي لابن القيم، ص١٦٩.

الانشغال بما لا يعني.. ماذا يعني؟

إن الاشتغال بما لا يعني يدل في الدرجة الأولى على التفرغ من الانشغال بما يعني ويفيد، فهذا إنسان فارغ بطَّال، لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته، وكفى بهذه رادعاً للعاقل اللبيب عن الغي والعبث.

جاء في الحديث: «إن الله - عز وجل - كريم، يحب الكرم ومعالي الأخلاق ويكره سفسافها»[1]، وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: «... إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً ليس في عمل آخرة ولا دنيا»[2]، وقال ابن القيم: «ومن أعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالته وفراغه فإن النفس لا تقعد فارغة، بل إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره ولا بدَّ»[3].

إن اشتغال الإنسان بما لا يعنيه ولاينفعه إنما يدل في واقع الأمر على جهل الإنسان بمصالحه، وجهله بحقيقة نفسه وحقيقة الخلق والكون والحياة، أو يدل

---

(١) أخرجه الحاكم ١/٤٨، وأبو نعيم في الحلية ٣/٢٥٥و ٨/١٣٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٧٨). وأخرجه الطبراني في الأوسط (٢٩٦٤، ٦٩٠٢)، وفي الكبير (٢٨٩٤)، بلفظ: «إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها»، وهذا اللفظ رمز لتحسينه السيوطي في الجامع الصغير (١٨٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٩٠) وكلامه في السلسلة الصحيحة يوحي بضعف إسناد هذا اللفظ. و«السفساف: الأمر الحقير والرديء من كل شيء، وهو ضد المعالي والمكارم» (النهاية ٢/٣٧٤).

(٢) السير ١/٤٩٦، ونحوه عن عمر في النهاية، لابن الأثير ٢/٣٤٠، ولسان العرب، ٣/١٩٣٢.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم، ١/٤١٣.

على غفلته عن السنن ونواميس الكون، أو يدل على محاولته التهرب من المسؤوليات، وذلك دليل عجزه وأمارة ضعفه في علاقته مع الله – تعالى –، فإن المؤمن القوي يكتسب قوته من حرصه على ما ينفعه، مع استعانته بالله – عز وجل –، كما قال النبي ﷺ : «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز...» الحديث(١).

والمشتغل بما لا يعنيه إن كان لا يشعر بسوء حاله فلا بدّ له أولاً أن يعرف خطأه في سلوك الطريق، وإن كان يشعر وهو مصرّ على حاله، فالأمر – كما قال الشاعر – أشد :

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

والخطير في الحالتين: أن ذلك الإنسان يسير في غير طريقه، ويتجه نحو وجهة أخرى غير وجهته التي ينبغي أن يسلكها، فهو رجل تائه قد حوَّل مساره، وغيَّر طريقه، وفقد هويته، وجهل رسالته، وأخلَّ بإيمانه بخالقه وتقواه وخشيته له حق خشيته...

فإذا ما قدِّر لهذا الإنسان أن يصحو وينتبه فإنه سيجد المسافة بعيدة بينه وبين هدفه وغايته، ويحتاج – حينئذ – لجهود مضاعفة لاستدراك ما فات، والتعويض عما مضى.

أما إن بقي على حاله طيلة حياته فإنه لا بد أن ينكشف الغطاء في سكرات

---

(١) أخرجه مسلم، ح ٢٦٦٤.

الموت، وحينها يقال له: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، وتشتد الحسرة يوم الحسرة، ويظهر النقص يوم التغابن. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

لماذا الانشغال بما لا يعني؟

الدلالات السابقة هي في حقيقتها أسباب للمشكلة، فعلى رأس الأسباب: جهل الإنسان بما يعنيه، وغفلته عن هويته ورسالته في الحياة، وإهماله لأشغاله وواجباته التي تعنيه.

يضاف إلى ذلك من الأسباب:

● صحبة البطَّالين، وهم: من ليسوا في شغل نافع من أمر دينهم أو دنياهم، وإن كان ظاهرهم الصلاح؛ فإنه ليس من شرطهم الانحراف وإرادة الإفساد..

وهؤلاء يقضون على أوقاتهم ويضيعون أوقات من يخالطهم. فمخالطتهم ضرر عظيم على العبد في دينه ودنياه، وإن كان كثير ممن يَحذَر الصحبة الفاسدة يقع في صحبة هؤلاء؛ لأن شرهم غير ظاهر.

وللسلف تحذير كبير من هؤلاء؛ فهذا ابن القيم يقول: «واحذر معاشرة البطالين، فإن الطبع لصٌّ»[1]؛ فهو يسرق الخُلُق السيئ ويتحلى بالكسل عند رؤية أهله. ويبيِّن أثرهم على القلب السليم، فيقول: «رؤيتهم قذى عينه، ومخالطتهم حُمى روحه»[2]؛ فهم عون للشيطان على صرف العبد عن الذكر والخير وتشويش قلبه[3]، وإلى هؤلاء يتوجه تحذير الأئمة من الأصحاب، كقول

---

(١) بدائع الفوائد ٣/ ٧٥٥.

(٢) زاد المعاد ٢/ ٢٥.

(٣) انظر: الجواب الكافي ١/ ٧٠.

الحميدي: «لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهذيان، فأقلل من لقاء الناس إلا أخذ علم أو إصلاح حال»[١].

● المناهج التربوية والمنابر الإعلامية والثقافية التي حملت لواء الإشغال عما يعني، بل تحاول جاهدة للحيلولة دون الجهود الجادة التي تسعى إلى رد الأمة إلى المسار الصحيح؛ فرسالة كثير من هذه المناهج والمنابر فارغة المحتوى عقيمة الجدوى. وحين نعلم أنها هي المؤثر الأقوى في عقول الناشئة وسائر الناس ندرك حجم القضية وعمق المشكلة.

● الانشغال بما يُظَنُّ أنه يعني وليس كذلك. نحو: الانشغال بالكلام الذي لا ينفع، كالمبالغة في الإشادة بالمنجزات، ونقد الأشخاص والهيئات والحكم عليهم، وكثرة الشكوى من الواقع، وإدامة التذمر من الأحوال السيئة.

وكل ذلك ما لم يتبعه عمل، وما لم تكن الغاية منه الإصلاح فهو مما لا يعني. وحتى حين يقصد به الإصلاح فإنه لا بد فيه من الاعتدال والانضباط.

وهذا الأسلوب غالباً ما يكون حيلة للتهرب من مواجهة الواقع وإصلاحه، والتملص من المسؤوليات والتبعات الكبار التي لا يطيق حملها إلا الرجال وأهل الجدِّ!

● تزجية الأوقات، وقضاء الفراغ الناتج عن ضعف فهم حقيقة العبودية وغاية الخلق. قال الغزالي: «رأس مال العبد: أوقاته. ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه، ولم يدَّخر بها ثواباً في الآخرة فقد ضيع رأس ماله»[٢].

---

(١) الفواكه الدواني ٢ / ٢٨١.

(٢) إحياء علوم الدين، ٣ / ١١٢.

أما الكلام فيما لا يعني فيبعث عليه أمور[١] منها :

● الرغبة في معرفة ما لا حاجة له فيه ولا فائدة، وهو ما يعرف بـ (حب الفضول)[٢]، وربما سُوِّغَ وسمي : (حب استطلاع)، وحب الاستطلاع بهذا المعنى مذموم.

● المباسطة في الكلام على سبيل التودد. وهذا إذا كان له قصد صحيح؛ كتأليف القلب وإحلال المحبة ودوام المودة، توصلاً إلى نصيحة أو توجيه أو تربية.. وإلا كان ضرباً من إضاعة الأوقات. وقد يقع هذا حتى بين الإخوان المجتمعين إذا كان اجتماعهم من غير هدف، كما سماه ابن القيم – رحمه الله – : « اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت »[٣].

وتجدر الإشارة إلى أن إشغال الأمة بالتوافه هو مما يريده أعداء الأمة ويعنيهم بدرجة كبيرة، يتبعهم في ذلك شرذمة اشتغلت بالعبث – جهلاً بهدف الحياة – فأرادت سوق الأمة إليه.. مما يتطلب درجة عالية من الوعي واليقظة والتنبه لمخططات التجهيل والإلهاء، والصرف عن الغاية التي خلق الله الخلق لأجلها.

* * *

---

(١) انظر الإحياء : ٣ / ١١٤.

(٢) الفضول قد يكون فضولاً في حق شخص، وليس فضولاً في حق آخر؛ لأن ما لا يعني إنساناً وهو فضول في حقه.. قد يعني إنساناً آخر فلا يكون في حقه فضولاً.

(٣) الفوائد، ص٥١.

للمسلم شغل عما لا يعنيه

إن فيما كلف به الإنسان شغل شاغل عما لا يعنيه، وعساه أن يقوم به. قال ابن العربي: «هذا الحديث إشارة إلى أن الإنسان لا يقدر أن يشتغل باللازم، فكيف أن يتعداه إلى الفاضل»[1]، وقال قتادة في قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]: «أتاهم - والله - من أمر الله ما وَقَذَهم عن ذلك»[2]. «وقذهم» أي: سَكَّنَهم[3].

«**إن للقلب المؤمن ما يشغله عن اللغو واللهو والهذر**.. له ما يشغله من ذكر الله، وتصور جلاله، وتدبر آياته في الأنفس والآفاق.

وكل مشهد من مشاهد الكون يستغرق اللب، ويشغل الفكر، ويحرك الوجدان..

وله ما يشغله من تكاليف العقيدة: تكاليفها في تطهير القلب، وتزكية النفس، وتنقية الضمير، وتكاليفها في السلوك، ومحاولة الثبات على المرتقى العالي الذي يتطلبه الإيمان، وتكاليفها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصيانة حياة الجماعة من الفساد والانحراف، وتكاليفها في الجهاد لحمايتها

---

(١) تنوير الحوالك، ٣/ ٩٦. والمراد بالفاضل: الزائد على ما يلزم الإنسان فعله.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٣٠٠.

(٣) شرح السنة للبغوي، ١٤/ ٣٢١، والمراد: جاءهم من الله ما يسكّنهم ويبلغ منهم مبلغاً يمنعهم من انتهاك ما لا يحل ولا يجمل (انظر لسان العرب، مادة: وقذ).

ونصرتها وعزتها، والسهر عليها من كيد الأعداء.. وهي تكاليف لا تنتهي، ولا يغفل عنها المؤمن، ولا يعفي نفسه منها، وهي مفروضة عليه فرض عين أو فرض كفاية، وفيها الكفاية لاستغراق الجهد البشري والعمر البشري.

والطاقة البشرية محدودة، وهي إما أن تنفق في هذا الذي يصلح الحياة وينميها ويرقيها، وإما أن تنفق في الهذر واللغو واللهو. والمؤمن مدفوع بحكم عقيدته إلى إنفاقها في البناء والتعمير والإصلاح.

ولا ينفي هذا أن يروِّح المؤمن عن نفسه في الحين بعد الحين؛ ولكن هذا شيء آخر غير الهذر واللغو والفراغ»[١].

والرجل الجاد يستولي عليه الاهتمام بالعمل المثمر المنتج فيتعالى عن الإيغال في العناية بالمظهر والشكليات التي تؤثر سلبياً على الهدف، أو تأخذ وقتاً وجهداً وهمّاً في غير ما طائل[٢].

«وكم تفتقر أمتنا داخل البيوت، وأوساط الشوارع، وفي الدكاكين والدواوين، وفي الأسواق والمعاهد، وفي كل مكان إلى الأخلاق الضابطة الصارمة كي تؤدي رسالتها الجليلة على نحو جدير بالاحترام.. ولكن الاكتراث بالمراسم غضٌّ من هذه الأخلاق»[٣].

«إن المجتمع الرباني الذي ينشئه الإسلام لا مجال فيه لقيل وقال، وكثرة السؤال، والتدخل في شؤون الناس الخاصة؛ لأن أفراده مشغولون بما هو أكبر

(١) في ظلال القرآن، ٤/ ٢٤٥٤.

(٢) انظر: التربية الجادة ضرورة، محمد بن عبد الله الدويش، ص٣٧.

(٣) هموم داعية، محمد الغزالي، ص١٦١.

وأجلُّ، إِنهم مشغولون بتحقيق كلمة الله في الأرض، ورفع راياته فوق الربوع، ونشر قيمه بين الناس، والذين ينهضون بهذه الأعمال لا يجدون وقتاً للخوض في تلك الآثام»[١].

* * *

(١) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، د. محمد علي الهاشمي، ص ٢١٠، ٢١١.

الإنسان بين الربح والخسارة

توجيه النبي ﷺ إلى ترك ما لا يعني الإنسان مقرون ببيان علة ذلك وفائدته؛ فهو طريق إلى تحسين الإسلام، وزيادة الإيمان، والترقي في سلم درجات الكمال ومراتبه التي يُحرَمُها من انشغل بما لا يعنيه.

قال الإمام ابن تيمية: «فإذا خاض فيما لا يعنيه نقص من حسن إسلامه، فكان هذا عليه؛ إذ ليس من شرط ما هو عليه أن يكون مستحقاً لعذاب جهنم وغضب الله، بل نَقْص قدْره ودرجته عليه؛ ولهذا قال - تعالى -: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فما يعمل أحد إلا عليه أَوْ له. فإن كان مما أُمر به كان له، وإلا كان عليه، ولو أنه ينقص قدره»[١].

وحينئذ فإن من أشغل نفسه بما لا يعنيه فقد أخّرها، وربما أوبقها؛ لكونه انشغل بغير ما خلق له، وأضاع وقته فيما لا يقربه من مرضاة ربه؛ فإن إضاعة الوقت في غير فائدة انشغال بغير العبودية[٢].

وإذا أدمن العبد إشغال نفسه بما لا يعنيه وأكثر من إنفاق وقته فيه فإنه يخشى عليه أن يعاقب بصرف همته وتحويلها إلى ما لا يعنيه.. حتى إنه قد لا يطيق الرجوع؛ لافتقاره إلى عون الله وتأييده، وقد فرَّط فيه طويلاً، وهذا عين الحرمان

---

(١) الفتاوى، ٧/ ٥٠.

(٢) راجع كلاماً في غاية النفاسة عن إضاعة الوقت لابن القيم، في مدارج السالكين، ١/ ٢٧٨، ٢٧٩.

وأعظم الخذلان، نعوذ منه بالرحمن[١].

قال الحسن البصري: « من علامة إعراض الله – عز وجل – عن العبد: أن يجعل شغله فيما لا يعنيه »[٢]. وسئل مظفر: ما خير ما أعطي العبد؟ قال: « فراغ القلب عما لا يعنيه، ليتفرغ إلى ما يعنيه »[٣].

وقال ذو النون: « من تكلف ما لا يعنيه ضيع ما يعنيه »[٤]. وقال أبو عبيدة: « من شغل نفسه بغير المهم أضر بالمهم »[٥].

وقال سهل التُستَري: « من ظن ظنَّ السوء حُرِمَ اليقين، ومن تكلم فيما لا يعنيه حُرِمَ الصدق، ومن اشتغل بالفضول حرم الورع، فإذا حرم هذه الثلاثة هلك، وهو مثبت في ديوان الأعداء »[٦]. وقال: « من اشتغل بما لا يعنيه نال العدو منه حاجته في يقظته ومنامه »[٧].

وقال عمر – رضي الله عنه –: « ثلاث من الشقاء: أن يجد الرجل على أخيه فيما يأتي، أو يذكر من أخيه ما يعرف من نفسه، أو يؤذي جليسه

---

(١) راجع فائدة (من ترك ما ينفعه عوقب بما يضره) في كتاب: مجتنى الفوائد الدعوية والتربوية، للسعدي، جمع محمد الوائلي ص٩٠.

(٢) التمهيد، لابن عبد البر، ٩ / ٢٠٠، وبمعناه عن معروف الكرخي، في حلية الأولياء ٨ / ٣٦١.

(٣) حلية الأولياء، ١٠ / ٣٦١. ومظفر هو القرميسيني.

(٤) شعب الإيمان للبيهقي، ٧ / ٤١٨ (١٠٨١٨)، وحلية الأولياء ٩ / ٣٨٠.

(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ٢ / ٢٢٢.

(٦) حلية الأولياء ١٠ / ١٩٦، وانظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٣ / ٣٣٠، وانظر: نزهة الفضلاء، لمحمد عقيل، ٢ / ٩٨١.

(٧) حلية الأولياء، ١٠ / ١٩٧.

بما لا يعنيه»[١].

واشتغال الإنسان بما لا يعنيه يحطّ من قدره ويُنزل مرتبته. قال ابن حبيب: «إذا لغا الإمام في خطبته، وتكلم بما لا يعني الناس، لم يكن على الناس الإنصات عند ذلك ولا التحول إليه. وقد فعل ذلك ابن المسيب»[٢].

في حين أن اشتغاله بما يعنيه يرقيه في درجات الكمال، ويقربه من مولاه. قال الإمام مالك: «لا يصلح الرجل حتى يترك ما لا يعنيه، ويشتغل بما يعنيه، فإذا فعل ذلك يوشك أن يفتح له قلبه»[٣]. و قال ابن خلدون: «الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يهمنا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا، أو في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا... وإن لم يكن مهماً علينا ولا فيه ضرر فلا أقل من تركه قربة إلى الله؛ فإن (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)»[٤].

وترك ما لا يعني من المكروهات: حصن للعبد عما لا يعنيه – أيضاً ـ من المحرمات، كما أن تركه لما لا يعنيه من المباحات حصن له عما لا يعنيه من المكروهات. وترك ما لا يعني – أيضاً –: حفظ للعبد من مرض دنوٍّ الهمة وفتور العزم[٥]، وبه يبلغ العبد مرتبة من الزهد عليَّة تستحق البذل والتضحية[٦].

---

(١) مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا، ص١٠٠.

(٢) التاج والإكليل، للعبدري المواق، ٢/ ٥٥٠، وانظر: حاشية الدسوقي، ١/ ٣٨٧ – ٣٨٨.

(٣) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للحطّاب، ١/ ٢٩.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ٢/ ١٩٩ – ٢٠٠، وانظر: أبجد العلوم للقنوجي ٢/ ٣٢٧.

(٥) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٢/ ١٠٢، الفوائد، له أيضاً، ص١٤٥.

(٦) راجع: المدارج، ٢/ ١٢ – ١٧، الفوائد، ص١١٨، الزهد وصفة الزاهدين، لابن الأعرابي، ص٣٠، ٣٩.

إن تربية النفس على ترك ما لا يعني معين على تركيز مَلَكَات المسلم وحواسِّه في الاهتمامات الواجبة والمستحبة، بدلاً من تشتيتها في أودية وشعاب لا حصر لها؛ فإن السمع والبصر رسولان للقلب ينفذ من خلالهما الكلام والصور فتنطبع في القلب وتشغله بتحليلها، حتى يمتلئ بالفضول فلا يبقى فيه مكان لهمٍّ فاعل مفيد.

قال أحمد بن عاصم: كتب رجل إلى أخيه: «أما بعد، فاطلب ما يعنيك بترك ما لا يعنيك، فإن في ترك ما لا يعنيك دَرَك لما يعنيك».(١)

بالانشغال بالمفيد يحظى العبد ببركة اتباع هدي النبي ﷺ في حياته، والصالحين من بعده (٢). وبه ينال الحكمة، «قيل للقمان: ما حكمتك؟ قال: لا أسأل عما قد كفيت، ولا أتكلف ما لا يعنيني»(٣).

وبه يُبلغ الصواب ويقل الخلاف «ولو أمسك الناس عما لا ينبغي، بل عما لا يعني لكثر الصواب وظهر الحق»(٤).

وبه يُدرَك الحِلْم، قال معاوية لرجل: «ما بقي من حِلْمِكَ؟ قال: لا يعنيني ما لا يعنيني»(٥).

وتلك هي السيادة حقاً، قيل للأحنف: «بِمَ سدت قومك، وأنت لست

---

(١) حلية الأولياء، ٩/ ٢٩١.

(٢) راجع مثلاً: زاد المعاد ١/ ١٨٢، جلاء الأفهام، لابن القيم ص ١٨٥، الفتاوى ١/ ٢٢٦.

(٣) الشعب، للبيهقي، ٧/ ٤١٦ (١٠٨٠٩)، والصمت لابن أبي الدنيا، ضمن موسوعة رسائله.

(٤) أحكام القرآن، لابن العربي ٣/ ٥٦٧.

(٥) الصمت لابن أبي الدنيا (١١٧).

بأنقبهم ولا أشرفهم؟ قال: أني لا أتناول، أو قال: لا أتكلف ما كُفِيتُ، ولا أضيع ما وَلِيتُ»[١].

إذا كان هذه سعادة المحيا فإن هذا الأمر مجلبة لسعادة الممات أيضاً. قال زيد بن أسلم: دُخل على أبي دجانة، وهو مريض، وكان وجهه يتهلل، فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: «ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً»[٢].

* * *

(١) الشعب، ٧/٤١٨ (١٠٨١٧).

(٢) السير ١/ ٢٤٣، وذكره ابن أبي الدنيا في الصمت (١١٣) عن ابن أبي دجانة.

أول الطريق

وختاماً: فإن الأمر ليس باليسير، ومما يعين عليه:

● الاستعانة بالله - تعالى - ودعاؤه والتضرع إليه، ولا بد من ذلك للسالكين. فها هي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] تتلى في كل ركعة. وها هو نبي الهدى ﷺ يقول: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»[١]. ويقول لأصحابه: «أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء؟ قولوا: اللَّهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[٢]. وما استُجْلب توفيق الله بمثل الافتقار والدعاء، ولا فاتت الدرجات بمثل إهماله[٣].

● استفراغ الوسع في معرفة ما يعني المرء - دون ما يعني غيره -، والاجتهاد في أدائه؛ ففي ذلك شغل شاغل عما سواه. قال شميط العنسي: «من لزم ما يعنيه أوشك أن يترك ما لا يعنيه»[٤].

● دوام مجاهدة النفس؛ فإنها صعبة المراس، كثيرة التمرد. كتب يونس بن عبيد لمن سأله عن حاله: «سألتني عن حالي، وأخبرك أن نفسي قد ذلت لي

---

(١) أخرجه مسلم، ح ٢٦٦٤، وتقدم.

(٢) المسند ٢/ ٢٩٩، وإسناده صحيح، وعلَّم معاذ بن جبل أن يدعو به دبر كل صلاة، المسند ٥/ ٢٤٥.

(٣) انظر: الفوائد، ص ١٨١.

(٤) الصمت، لابن أبي الدنيا (١١٩).

بصوم يوم بعيد الطرفين شديد الحر، ولن تذل لي بترك الكلام فيما لا يعني»[١] .

وليس معنى هذا اليأس، فإن الذي يجاهد نفسه مثاب على مجاهدته، وسيبلغ مقصوده - بإذن الله - ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]، قال مورق العجلي: «أمرٌ أنا في طلبه منذ عشر سنين لم أقدر عليه، ولست بتارك طلبه. قالوا: ما هو يا أبا المعتمر؟ قال: الصمت عما لا يعنيني»[٢] .

● محاسبة النفس على الدوام، وتذكُّر الأعمال، والنظر في مقدار ما يعنيه مما لا يعنيه من أعماله التي قام بها. وكلما تكررت المحاسبة أكثر وكانت على مدة يسيرة ماضية كانت أخف وأنفع؛ كما هو مشاهد في المحاسبات المادية المالية التي تتعقد كلما تراكمت وتركت زمناً أطول؛ فخير للعبد أن يحاسب نفسه عند كل عمل وبعده، وما أجمل أن لا يغمض عينيه لينام إلا وقد استعرض ساعات يومه، فاستغفر من ذنبه وتقصيره وتاب منه، وعزم على الزيادة من الخير الذي حصله. وربما يحتاج الإنسان في أول الأمر إلى تسجيل أعماله وكتابتها ليتعامل معها على حجمها الحقيقي؛ إذ يغلب على الإنسان نسيان سيئاته دون حسناته!

انظر إلى الصدِّيق وقد دخل عليه عمر - رضي الله عنهما - وهو يجبذ لسانه، فقال عمر: مَهْ! غفر الله لك. قال أبو بكر: «إن هذا أوردني الموارد»[٣] .

---

(١) حلية الأولياء، ٩/ ٢٩٣.

(٢) الصمت، (١١٨).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٨٨، عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر، قوله: (يجبذ لسانه): يجذبه ويجره. (مه): اكفف، (أوردني الموارد): أهلكني.

ومن السلف من شـدد على نفسه في المحاسبة حتى عاقبها على التدخل فيما لا يعنيها! فقد «مرَّ حسان بن أبي سنان بغرفة، فقال: متى بُنِيَتْ هذه؟ ثم أقبل على نفسه، فقال: تسألين عما لا يعنيك، لأعاقبنك بصوم سنة، فصامها»[١].

● التربية الجادة لعموم الأمة التي تسلك كل فئة من فئات الأمة: رجالاً ونساءاً، شيباً وشباناً، خاصة وعامة فيما تحسنه مما يهمها أولاً بأول[٢].

وهذا أسلوب مهم جداً في المبادرة بالعلاج؛ فإن النفس ما لم يشغلها صاحبها فإنها تشغله، والإنسان يختار لنفسه من ميادين العمل ما يحسنه؛ فإن قيمة المرء ما يحسنه، فيسلك نفسه في برامج علمية أو دعوية أو تربوية أو إغاثية.

أو يأخذ نصيباً أوفر من بعضها، ويسهم بشيء في بعضها الآخر، بحيث لا يترك لنفسه فرصة من الفراغ، إلا بقدر ما يستعيد به نشاطه وحيويته ليباشر عمله.

وليعلم أنه لن يستطيع عمل كل شيء، فمجالات العمل واسعة، وعليه

---

(١) شعب الإيمان، ٤/ ٢٧٥ (٥٠٨٣). وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ وسنته؛ فإن الأكمل في الصيام: صيام داود وهو صوم يوم وإفطار يوم. ومع حسن ظننا بالسلف واجتهادهم فهدي النبي ﷺ أولى بالاتباع. وللمعجب باجتهادهم أن يحقق التأسي بهم بالاجتهاد في حدود السنة، وأن يربي نفسه في إطار الهدي النبوي، وذلك ميدان واسع رحب لأولي الهمة والعزيمة، ولله الحمد.

(٢) يراجع كتاب: التربية الجادة ضرورة، للشيخ محمد الدويش، فهو دراسة متميزة.

حينئذ أن يترك جوانب من العمل تهم غيره ولا تهمه هو.

وما لم يؤخذ الأمر بمأخذ الجد فإن فورة الحماس إنما هي جذوة سرعان ما تنطفئ إلا أن يُعِدَّ لها صاحبها وقوداً مستمراً، وذلك هو العمل، لا غيره[١].

● مصاحبة الأخيار الجادين المشتغلين بما يعنيهم، فإنه على قدر ضرر صحبة البطالين[٢] تكون ضرورة صحبة الجادين؛ إذ لا غنى للمرء عنهم في سلوك الصراط المستقيم.

وتأمل كيف يؤمر النبي ﷺ بمجاهدة النفس على صحبتهم، في قوله – تعالى–: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ

---

(١) وإذا ما أردت تحقيق أهدافك وبلوغ أمانيك على أكمل وجه فلا بدّ لك – مع الاستعانة بالله تعالى – من تحديد رسالتك في الحياة، من خلال رؤية مستقبلية لما تحب أن تكون عليه، يتبع ذلك كتابة أهدافك ومجالات عملك.
وإذا ما تكاثرت عليك الأعباء التي تعنيك، فإنها لن تكون بدرجة واحدة من الأهمية والفضل بل قد يكون منها ما لا يعنيك أصلاً، وإن كان يعني غيرك، فعليك بـ (فقه مراتب الأعمال) ومراعاة أفضلها، وطالع ما سُطر في قضية ترتيب الأوليات. (ينظر مثلاً كتاب: فقه الأولويات – دراسة في الضوابط، لمحمد الوكيلي، وفي فقه الأولويات، د. يوسف القرضاوي، وفقه مراتب الأعمال، لسعد الدين العثماني، مقال في مجلة البيان، العدد ٩٧).
عليك بعد ذلك تقسيم ما يهمك أولاً بأول على أوقاتك (أسبوعياً) بإعطاء كل عمل نسبة من الوقت على قدر أهميته، ثم راجع نفسك نهاية الأسبوع، وقسم الأسبوع التالي وهكذا.. (للاستفادة راجع كتاب: العادات السبع للقادة الإداريين، ستيفن كوفي، وانظر ص (١٥٠ – ١٨١).

(٢) كما تقدم قريباً في الأسباب ص ٧٥.

هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وهذا توجيه كريم للعبد إلى اختيار جلسائه؛ فالمرء على دين خليله: يتأثر بأفعاله، ويقتدي بسلوكه، ويحرص على موافقته قولاً وفعلاً، وللإخوان في التنافس الشريف ميدان رحب.

• التناصح بين الإخوان بتنبيه بعضهم بعضاً عند حدوث تطفُّل أو فضول أو تدخل من أحدهم فيما لا يعنيه سواء في حق أخيه أو في حق شخص آخر. وهذه ثمرة من ثمار مؤاخاة الأخيار الجادين ومخالطتهم، يكون الأخ لأخيه كإحدى اليدين للأخرى تشد كل منهما على صاحبتها برفق لتزيل وسخها.

• استحضار عظمة الله – عز وجل –، ودوام مراقبته، وتدبُّر أسمائه الحسنى وصفاته العلى، والخوف من غضبه حين يقصر العبد في شكر نعمه، والحياء منه – عز وجل – أن يطلع على قلب عبده أو عمله فيجده مشغولاً بغير ما خلقه له، مهتماً بغير ما أراده منه!

• الإقبال على كتاب الله الكريم تلاوة وحفظاً وتدبراً وعملاً وتحاكماً؛ فذلك شغل شاغل للعبد، ثم إنه يفتح له آفاقاً من الخير تشغله عن كل ما لا يعنيه. وكفى بالقرآن شغلاً!

• استلهام القدوة والأسوة من سيرة خير الورى محمد ﷺ، وصحابته الكرام – رضي الله عنهم –، وأتباعهم والتابعين لهم بإحسان؛ ليرى العبد صدقهم في حمل الإسلام، وجدهم في الحياة، ومبادرتهم إلى الخيرات، وخلو

أوقاتهم من عمل لا فائدة فيه؛ حتى صاروا شامة في الناس، زرع الله حبهم في قلوب العباد، فدانت لهم الدنيا.

● العناية بالمتربين والناشئة في مقتبل أعمارهم وأساس نشأتهم بتوجيههم – علماً وعملاً – إلى ما يهمهم، واستخدام كل وسيلة نافعة؛ فإن ذلك من شأنه أن يجعل ذلك المسلك عندهم هيئة راسخة وطريقة سهلة محببة، يشعرون معها بمتعة الجدية ونشوة الإنجاز وعلو الهمة وسمو الهدف. وما لم يكن المربون على قدر كبير من ذلك فإن فاقد الشيء لا يعطيه.

دخل رجل على عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – وهو يخصف نعليه! فقال: يا أبا عبد الرحمن، لو ألقيت هذا النعل، وأخذت آخر جديداً؟ فقال: «نعلي جاءت بك هاهنا؟! أقْبِلْ على حاجتك»[١].

و «قيل إن رجلاً قال للأحنف: بِمَ سدت؟ – وأراد أن يعيبه –. قال الأحنف: بتركي مما لا يعني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك»[٢].

وعن محمد بن عبادة المعافري قال: «كنا عند أبي شريح – رحمه الله – فكثرت المسائل، فقال: قد دَرِنَتْ قلوبكم، فقوموا إلى خالد بن حميد المهري استقلوا قلوبكمْ، وتعلموا هذه الرقائق والرغائب؛ فإنها تجدد العبادة، وتورث الزهادة، وتجر الصداقة، وأقلُّوا المسائل؛ فإنها في غير ما نزل تقسي القلب، وتورث العداوة»[٣].

---

(١) المنتقى، للباجي ٧/ ٢١٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٩٣.

(٣) المصدر السابق ٧/ ١٨٣.

● تذكُّر الموت والحساب والجزاء، واستشعار العبد أنه في مرحلة سيُجزى بعدها بما عمل فيها.

وعظ عطاء بن أبي رباح أصحابه: فقال: «إن من قبلكم كانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو أن تنطق في معيشتك التي لا بد لك منها، أتذكرون أن عليكم حافظين، كراماً كاتبين، عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد؟ أما يستحي أحدكم لو نشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره، وليس فيها شيء من أمر آخرته؟»(١).

وقال سعيد بن جبير: «لو فارق ذكر الموت قلبي، لخشيت أن يفسد عليَّ قلبي»(٢).

«من راقبَ الموتَ لم تكثُر أمانيه * ولم يكن طالباً ما ليس يعينه»(٣).

ومن استحضر موقف الحساب الذي فيه ﴿يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]، وتخيل حقيقة الإفلاس إلا من عمل الصالحات.. أخذ الأمر بمأخذ الجد، وتأهب بما يجب.

والله المستعان، وإليه المرجع والمآب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

---

(١) شعب الإيمان، ٤/ ٢٧٤ (٥٠٨٠).

(٢) السير ٤/ ٣٣٤.

(٣) الآداب الشرعية، لابن مفلح، ١/ ١٣٩.

قائمة المصادر والمراجع

* أبجد العلوم * الوشي المرقوم في أحوال أهل العلوم، صديق حسن خان القنوجي. ت: عبد الجبار زكار.

* إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد محمد البنا، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل.

* أحكام القرآن، ابن العربي.

* إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي.

* أدب الدنيا والدين، الماوردي.

* أدب المجالسة، ابن عبد البر.

* أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي.

* اعترافات علماء الاجتماع، د. أحمد خضر.

* أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، الخطابي.

* إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم.

* إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم.

* أقاويل الثقات، الكرمي.

* الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، ابن بطة العكبري، ت: رضا ابن نعسان معطي.

* الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، ابن بلبان الفارسي.

* الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح.

* الأربعون النووية، النووي.

* الإنصاف، المرداوي.
* البحر المحيط، الزركشي.
* التاج والإكليل لمختصر خليل، العبدري المواق.
* التحرير والتنوير، ابن عاشور.
* التربية الجادة ضرورة، محمد الدويش.
* التشريع والفقه في الإسلام، مناع القطان.
* التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر.
* الجامع الصغير، السيوطي.
* الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق د. محمد الحفناوي، د. محمود عثمان.
* الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي.
* الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) ابن قيم الجوزية.
* الديباج على صحيح مسلم (مخطوط ٢٢٦ ورقة) السيوطي.
* الرد على القائلين بوحدة الوجود، الهروي.
* الزهد وصفة الزاهدين، ابن الأعرابي.
* الزهد، الإمام أحمد.
* الصمت، ابن أبي الدنيا.
* الطبقات الكبرى، ابن سعد.
* الطرق الحكمية، ابن القيم.
* العادات السبع للقادة الإداريين، ستيفن كوفي.
* العقيدة الواسطية، ابن تيمية.
* العواصم من القواصم، ابن العربي.
* الفتاوى الهندية، لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي.

* الفتوى الحموية، ابن تيمية .
* الفروع، ابن مفلح .
* الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي .
* الفوائد، ابن القيم .
* الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي المالكي .
* الكاشف عن حقائق السنن، الطيبي .
* الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي .
* المدخل، ابن الحاج .
* المستدرك على الصحيحين، الحاكم .
* المصباح المنير، الفيومي .
* المطالب العالية، ابن حجر .
* المعجم الأوسط، الطبراني .
* المغرب، المطرزي .
* المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني .
* المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي .
* المنتقى شرح موطأ الإمام مالك، الباجي .
* الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي .
* النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير .
* الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم الجوزية .
* إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، محمد بن جماعة .
* بريقة محمودية، الخادمي .
* بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار شرح جوامع الأخبار، السعدي .

* تاريخ الأمم والملوك، الطبري.
* تاريخ الخلفاء، السيوطي.
* تاريخ الفقه الإسلامي، د. عمر الأشقر.
* تاريخ الفقه الإسلامي، محمد علي السايس.
* تاريخ بغداد، ابن عساكر.
* تبصرة الحكام، ابن فرحون.
* تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، أبو العلىٰ المباركفوري.
* تذكرة الحفاظ، الذهبي.
* تفسير القرآن العظيم، ابن كثير.
* تقريب التهذيب، ابن حجر.
* تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، السيوطي.
* توجيهات نبوية على الطريق، السيد محمد نوح.
* تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي.
* جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري.
* جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي.
* جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر.
* جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، ابن القيم.
* حاشية الدسوقي على الشرح الكبير.
* حاشية السندي على سنن النسائي.
* حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني، علي الصعيدي العدوي.
* حاشية العطار على شرح الجلال المحلي.
* حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني.

* حول التربية والتعليم، د. عبد الكريم بكار.
* درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية.
* سبل السلام،الصنعاني.
* سنن ابن ماجه.
* سنن أبي داود.
* سنن البيهقي.
* سنن الترمذي.
* سنن الدارمي.
* سنن النسائي.
* سير أعلام النبلاء، الذهبي.
* شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، د. محمد علي الهاشمي.
* شذرات الذهب، ابن العماد.
* شرح السنة، البغوي.
* شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز. تحقيق د. عبد الله التركي، شعيب الأرناؤوط.
* شرح النسائي، السيوطي.
* شعب الإيمان، البيهقي.
* صحيح ابن حبان (ترتيب ابن بلبان الفارسي)
* صحيح سنن الترمذي، الألباني.
* صحيح سنن النسائي، الألباني.
* صحيح مسلم بشرح النووي.
* طريق الهجرتين، ابن القيم.

* عقيدة السلف وأصحاب الحديث، الصابوني. ت: د. ناصر الجديع.
* علل الحديث، الدارقطني.
* عمدة القاري، العيني.
* عون المعبود في شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي.
* غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، السفاريني.
* فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني.
* فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن بطَّال.
* فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، محمد بن أحمد (عليش).
* فضائح الباطنية، الغزالي.
* فكر ومباحث، علي الطنطاوي.
* في ظلال القرآن، سيد قطب.
* كشف الأسرار، البزدوي.
* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي.
* لسان العرب، ابن منظور.
* لسان الميزان، ابن حجر.
* مجتنى الفوائد الدعوية والتربوية، عبد الرحمن السعدي.
* مجموع فتاوى ابن تيمية.
* محاسن التأويل، القاسمي.
* مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم والبعلي.
* مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم.
* مسند الإمام أحمد.

* مطالب أولي النهي في شرح غاية المنتهى، الرحيباني.
* مظاهر الانحرافات العقدية وأثرها السيء في الأمة، إدريس محمود إدريس.
* معالم السنن للخطابي مع مختصر سنن أبي داود، المنذري.
* معالم القربة في معالم الحسبة، ابن الأخوة القرشي.
* معجم مقاييس اللغة، ابن فارس.
* مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون.
* مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا.
* منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان بن علي بن حسن.
* منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة، أحمد بن عبد الرحمن الصويان.
* منهج السلف في السؤال عن العلم، وفي تعلم ما يقع وما لم يقع، عبد الفتاح أبو غدة.
* مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الحطَّاب.
* موطأ الإمام مالك.
* موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة * عرضاً ونقداً، سليمان بن صالح الغصن.
* نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، محمد بن حسن عقيل موسى.
* نواسخ القرآن، ابن الجوزي.
* نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، الشوكاني.
* هموم داعية، محمد الغزالي.

* * *

* شرح الأربعين النووية (أشرطة سمعية)، محمد صالح المنجد.

فهرس الموضوعات

* * *

مطابع أضواء المنتدى ت: ٢٤٢٢٢٧٧٣-٢٤٢٢٢٧٧٤ / ٠١